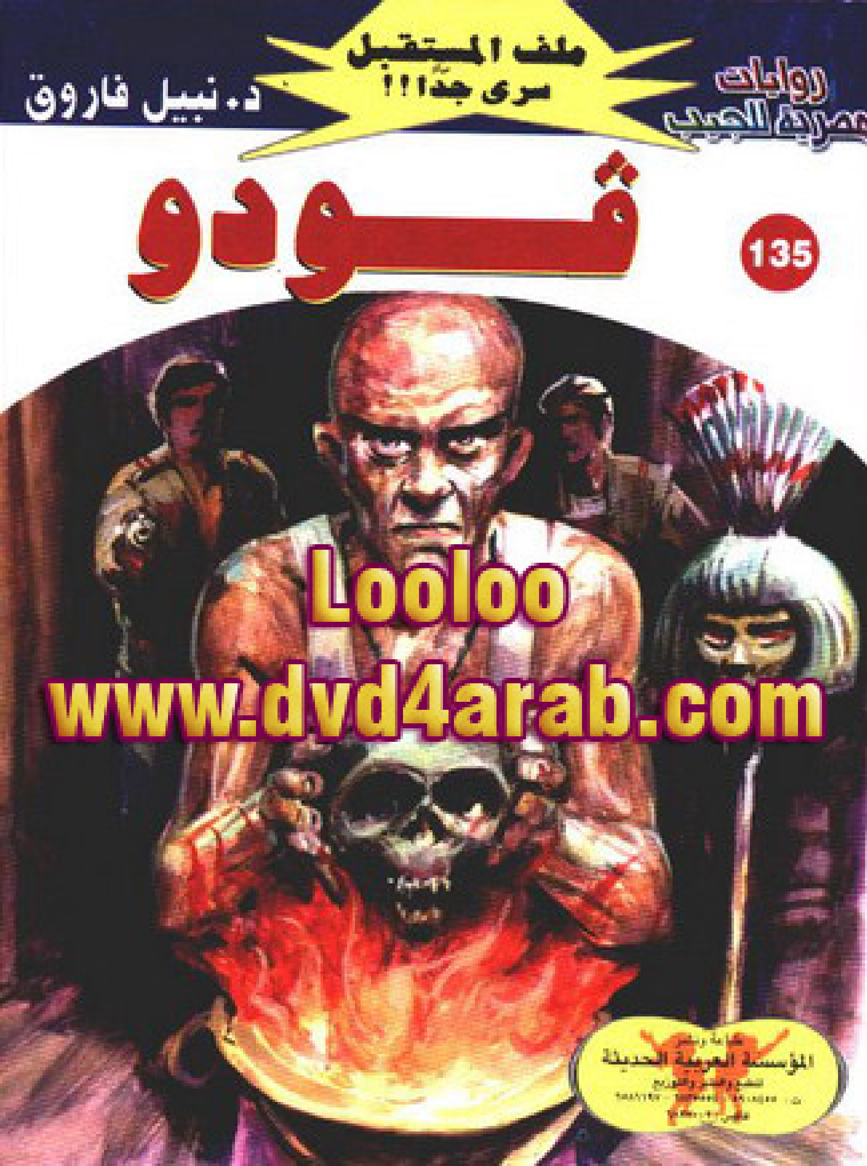

ملف المستقبل
سرى جداً!!
روايات مصرية للجيب
د. نبيل فاروق
ڤودو
135
Looloo
www.dvd4arab.com
المؤسسة العربية الحديثة

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدُّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ـ إصبع الشيطان ..

زفر (أكرم) فى عصبية وتوتر ، وهو يقف أمام تلك المرآة الكبيرة فى منزله ، ويحاول عبثًا عقد رباط العنق الفراشى الصغير ، حول ياقة قميصه الأنيق ، ثم لم يلبث أن هتف فى حنق ، وهو يلقيه بعيدًا :

ـ لست أدرى لماذا الإصرار على حضور هذه الاحتفالات السخيفة ؟! إننى أكره تلك الالتزامات الرسمية تمامًا .

تنهّدت (مشيرة) ، محاولة السيطرة على أعصابها بقدر الإمكان ، وهى تقول :

ـ أعلم هذا جيدًا .. كلنا نعلم أن طبيعتك تنفر من كل التزام ، ولست حمقاء ، لأدفعك إلى مرافقتى فى حفل ، أعلم أنك تبغضه كل البغض ، لأننى واثقة من أن هذا سيضعنى فى مجموعة مواقف أشبه بالكوارث الطبيعية ،

ولكنك تعلم أن الجميع مدعوون إلى هذا الحفل بالذات .. (نور) ، و(سلوى) ، و(نشوى) ، و(رمزى) ، وأنك بالذات ضيف الشرف هذه المرة ، بسبب بطولتك فى التعامل مع محاولة الغزو الأخيرة(*) ..

هتف مستنكرًا ، وهو يلتقط رباط العنق مرة أخرى فى سخط :

- بطولتى ؟! أية بطولة ؟! (س - ١٨) هو الذى حسم الأمر فى النهاية ، وانتزع كل البطولة ، على نحو محبط .

ابتسمت ، قائلة :

- هذا لايمنع من أنكم بذلتم كل جهد ممكن .

لوّح بيده فى حدة ، هاتفًا :

- كنت أتمنى أن نختم هذا بلمسة بشرية أيضًا .

أزاحت يده عن رباط العنق ، وراحت تعقده بأصابعها الرقيقة ، فى سرعة ومهارة ، قائلة :

(*) راجع قصة (سادة الكون) ... المغامرة رقم ١٣٤ .

- المهم أن عالمنا قد أصبح آمنًا يا زوجى العزيز .

مطّ شفتيه ، وهزّ رأسه ، مغمغمًا :

- صدقت .

تراجعت تلقى نظرة شاملة عليه ، وهو يلتقط سترته ، ويرتديها ، وعادت تبتسم مغمغمة :

- هل تعلم أنك وسيم بحق ؟!

تطلّع إليها ، متسائلاً فى اهتمام :

- أتعتقدين هذا حقًا ؟!

مالت تطبع قبلة على خده ، قائلة :

- بل أنا واثقة من أن زوجى هو أكثر رجال الأرض وسامة .

عبارتها هذه أثلجت صدره ، وأضفت عليه مرحًا شديدًا ، طوال طريقهما إلى الحفل ، المقام فى متحف الآثار الحديث ، عند هضبة أهرامات الجيزة ..

ولكن ما إن لاحت له أضواء المكان المبهرة ، حتى استعاد عصبيته ، وهو يقول :

- أراهن على أننا سنجد كومة من الصحفيين ورجال الإعلام فى انتظارنا .

ضحكت ، قائلة ، وهى توقف السيارة فى ساحة الانتظار :

- بالتأكيد ، فأنا وحدى أرسلت جيشًا منهم .

مطّ شفتيه ، وغادر السيارة ، وهو يقول فى عصبية :

- يا للسخافة !

تأبطت ذراعه فى فخر ، على الرغم من توتره ، واتجها معًا نحو مدخل المتحف ، وما إن لمحهما رجال الصحافة والإعلام ، حتى هتف أحدهم :

- ها هو ذا البطل .

تراجع (أكرم) خطوة ، بحركة غريزية متوترة ، وراودته فكرة أن يدور على عقبيه ، ويعدو هاربًا بأقصى قوته ، إلا أن الفكرة لم تكن قد اكتملت فى رأسه بعد ، عندما وجد نفسه محاطًا بالصحفيين ورجال الإعلام ،

وتسلّطت عليه كل الأضواء ، وانهالت عليه عشرات الأسئلة ، فابتسمت (مشيرة) مغمغمة فى زهو :

- هيا .. انتقل إلى عالم اليوم .

ومن نافذة الطابق الثانى للمتحف ، شاهد (نور) ورفاقه مايحدث ، فضحك (رمزى) ، قائلاً :

- مسكين (أكرم) .. إنه لايحتمل عواقب الشهرة أبدًا .

ابتسم (نور) قائلاً :

- صدقنى أفضل ما فى (أكرم) فطرته وتلقائيته .

هتفت (نشوى) :

- ولكنه ما زال يحيا فى بدايات القرن العشرين .

أشارت (سلوى) بسبّابتها ، قائلة :

- لاتنسى أنه ينتصر أيضًا على كوارث القرن الحادى والعشرين .

غمغم (نور) :

- بالتأكيد .

ثم التفت إلى (رمزى) متسائلاً :

ـ تُرى ماذا سيعرضون الليلة ، فى القاعة الجديدة ؟!

أتاه صوت مألوف ، يقول فى مرح :

ـ تاريخ السحر بالطبع .

استدار الكل إلى مصدر الصوت ، وهتف (نور) ، فى سعادة وحرارة :

ـ دكتور (حجازى) .. كم تسعدنى رؤيتك هنا .

صافحهم الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين ، فى حرارة ومودّة ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ أنت تعرف أنه لايمكن أن يفوتنى أمر كهذا يا (نور) .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ أمر مثل ماذا يا دكتور (حجازى) ؟!

تراجع الدكتور (حجازى) ، لينظر إليه فى دهشة ، هاتفًا :

ـ ألا تعلم حقًا ؟! عجبًا ! كنت أظن أن أمرًا كهذا لايمكن أن يفوتكم أبدًا !

هزّت (سلوى) كتفيها ، قائلة :

ـ تعلم أننا كنا مشغولين كثيرًا ، فى الآونة الأخيرة .

هزّ رأسه متفهمًا ، وهو يغمغم :

ـ آه .. بالتأكيد .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، ليتابع فى اهتمام :

ـ القاعة الجديدة فى المتحف ، تحوى بعض الآثار الفرعونية ، التى تم العثور عليها ، فى قلب (إفريقيا) .

هتفت (نشوى) فى دهشة :

ـ آثار فرعونية فى قلب (إفريقيا) ؟! هل امتدت الحضارة المصرية القديمة يومًا إلى هذا المدى ؟!

أشار الدكتور (حجازى) بسبّابته ، قائلاً :

ـ إنها المرة الأولى ، التى يتمّ فيها العثور على آثار فرعونية سليمة ، فى هذا العمق ، ولكن الأمر لايقتصر على هذا فحسب ، وإنما يمتدّ إلى حقائق مذهلة أخرى .

جذب الحديث اهتمام الكل ، فسألته (سلوى) ، فى شغف وفضول :

ـ أية حقائق ؟!

اعتدل الدكتور (حجازى) ، وشدّ قامته ، قائلاً :

ـ أوّل مايدهش فى الأمر ، هو أن البعثة ، التى توصّلت إلى هذا الكشف الأثرى المذهل ، لم تكن تضمّ عالم آثار واحدًا .

قال (رمزى) فى دهشة مبهورة :

ـ حقًا ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا وتأكيدًا ، قبل أن يقول فى حماسة :

ـ الحملة كانت تضمّ ثلاثة من العلماء فحسب .. الدكتور (فريد عبد الخالق) ، والدكتورة (عبلة سمير) ، وهما من علماء التاريخ الطبيعى ، والدكتور (مينا منير) ، أستاذ علم الجيولوجيا ، والثلاثة كانوا يسعون خلف

كشف حضارى ، حار مئات العلماء ، عبر التاريخ ، فى إثبات ما إذا كان حقيقة ، أم مجرّد أسطورة خيالية ، تناقلتها الأجيال .

انعقد حاجبا (نور) وهو يقول :

ـ أتقصد المدينة المفقودة ؟![*]

أشار إليه بسبّابته ، هاتفًا بمنتهى الحماسة :

ـ بالضبط .

ثم تابع فى سرعة :

ـ لقد استعانوا بأحدث الأجهزة ، وبصور الأقمار الصناعية ، والخرائط الجيولوجية الحديثة ، واخترقوا أكثر أدغال (إفريقيا) صعوبة ووعورة ، سعيًا وراء كشف حقيقة أسطورة المدينة المفقودة ، ولكنهم وجدوا أنفسهم أمام كشف مذهل آخر ..

(*) المدينة المفقودة : أسطورة إفريقية قديمة ، ارتبطت بالمناطق الغامضة والمجهولة من الغابات والأحراش الكثيفة ، حيث يؤمن السكان بوجود مدينة خفية متطوّرة ، فى مكان مجهول ، وأن الموت مصير كل من يسعى إليها ، أو يفكّر فى كشف أمرها .

ازدرد لعابه ، ليرطب حلقه الجاف ، من شدة الحماسة والانفعال ، قبل أن يتابع ، وهو يلوّح بكفيه :

ـ معبد فرعونى كامل ، بجدرانه المنقوشة باللغة الهيروغليفيـة ، وأعمدته ، وتماثيله ، وحتى ألوانه الزاهيـة ، وأوراق البردى ، التى تحـوى ثمرة أجيال كاملة .

بدت الدهشة على وجوههم جميعًا ، وتساءل (نور) فى حيرة :

ـ عجبًا ! كيف يمكن أن يظلّ معبد كهذا قائمًا ، وسط أحراش كثيفة ، غزيرة الأمطار ، طوال كل هذه القرون ؟!

ابتسم الدكتور (حجازى) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ الحضارة الفرعونية اعتادت أن تفاجئنا وتبهرنا دومًا يا (نور) ، ولكنها فى هذه المرة كانت تحمل لنا صدمة .

أطلّ تساؤل قلق من عينى (نور) ، وتبادل (رمزى)

و(نشوى) نظرة متوترة ، فى حين تساءلت (سلوى) فى حذر :

ـ أية صدمة ؟!

أدار الدكتور (حجازى) عينيه إليها ، مجيبًا :

ـ المعبد الفرعونى كان يضمّ كهنته أيضًا .

قال (رمزى) فى دهشة :

ـ أتقصد مومياوات الكهنة ؟!

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل الكهنة أنفسهم .

تفجّرت الدهشة فى كيانهم جميعًا ، وأطلّت من عيونهم فى وضوح ، ومن صوت (نور) ، الذى هتف :

ـ أتعنى أن المعبد يضمّ كهنة أحياء ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وقال فى حماسة :

- نعم .. كهنة يرتدون الأزياء الفرعونية ، بنفس الخامات التى حدثنا عنها التاريخ .

هتفت (نشوى) :

- مستحيل !

تابع الدكتور (حجازى) ، دون أن يوقفه هتافها :

- الكهنة يرتدون أزياء كهنة الفراعنة القدامى ، ولكنهم يتحلون بحلى من عظام البشر والحيوانات ، ويمارسون طقوسًا كتلك التى عرف بها سحرة (الفودو)(*) ..

اتسعت عيونهم ، فى مزيج من الدهشة والذعر ، وهمّت (نشوى) بإلقاء سؤال آخر لولا أن اندفع (أكرم) و(مشيرة) نحوهم ، فى اللحظة ذاتها ، والأول يهتف محنقًا :

(*) الفودو = عقائد سحرية إفريقية قديمة ، سادت فى فترات القرون الوسطى ، وانتشرت فى قلب (إفريقيا) ، ونسبت إليها قدرات وقوى خارقة للغاية ، فى مجال الشر ، ولقد انتقلت عقيدة (الفودو) إلى الأمريكتين ، مع المختطف الأفارقة ، للعمل كعبيد هناك ، ثم امتزجت ببعض الخرافات المقحمة على الديانة المسيحية ، وبعض عقائد سكان (هاييتى) ، قبل أن تتحول إلى نوع من السحر الأسود ، الذى يخشاه سكان أمريكا الجنوبية ، ويؤمنون بصحته ، فى حين اختفى أو كاد من (إفريقيا) نفسها .

- إنها آخر مرة أحضر فيها حفلاً كهذا .

ضحكت (مشيرة) ، قائلة :

- رباه ! سنوات طويلة فى مجال الصحافة والإعلام ، ولأول مرة أرى شخصًا ينفر من الشهرة والأضواء إلى هذا الحد !!

غمغم (أكرم) فى سخط :

- لكل شىء حدود .

ابتسمت (سلوى) ، قائلة :

- ولكنك تبدو وسيمًا بحق فى زى السهرة هذا يا (أكرم) .

هتفت (مشيرة) فى حماسة :

- أليس كذلك ؟!

كانت تنوى الانخراط فى حديث طويل ، حول حنق زوجها من أضواء الشهرة ، إلا أن خبرتها كصانعة أخبار جعلتها تدير عينيها فى وجوه الجميع ، متسائلة :

- لقد قاطعنا حديثًا مهمًا .. أليس كذلك ؟!

تنحنح (نور) ، قائلاً :

- الواقع أننا كنا ..

قبل أن يتمّ حديثه ، برز مدير المتحف فجأة ، وهو يندفع نحو (أكرم) ، هاتفًا :

- سيّد (أكرم) .. مرحبًا بك .. لقد كنا فى انتظارك لافتتاح القاعة الجديدة .. هيا .. الكل فى انتظارنا ، على أحر من الجمر .

كان الرجل يتحدّث فى حماسة ، وهو يقودهم إلى القاعة الجديدة ، حيث ينتظر فريق من الناس ، استقبلوا الجميع بالتصفيق ، وراح مدير المتحف الجديد يقوم بعملية التعارف ، قبل أن يشير إلى زر فى ركن باب القاعة الجديدة ، قائلاً فى حماسة :

- هيا ياسيّد (أكرم) .. اضغط الزر ، لنفتتح القاعة الجديدة .

غمغم (أكرم) ، وهو يضغط الزر :

- مازلت أفضل الأسلوب التقليدى ، بالمقص والشريط .

مع ضغطة الزر ، انفتح باب القاعة الجديدة ، وأضيئت مصابيحها ، وتألقت على نحو مبهر ، وظهرت مجموعة من التماثيل والتحف ، على نحو جعل الكل يصفق فى حماسة وانبهار، قبل أن يدلفوا إلى القاعة للمشاهدة ..

كانت معظم المعروضات من التماثيل الفرعونية ، وأوراق البردى ، التى تحوى كتابات تمت ترجمتها ، على شاشات إليكترونية مجاورة ..

أما باقى المعروضات ، فكانت أشياء عجيبة بالفعل ..

تمثالان من البلّور ، وجمجمة لنوع من القردة المجهولة ، و ...

وإصبع ..

إصبع واحد طويل مبتور ، له لون أخضر داكن ، وإظفر أحمر فى لون الدم ، موضوع داخل صندوق بدائى من الزجاج الشفاف ..

وفى دهشة تمتزج بالخوف والاشمئزاز ، غمغمت (سلوى) ، وهى تحدّق فى ذلك الإصبع :

- ما هذا الشىء بالضبط ؟!

كادت تقفز من مكانها ، عندما أتاها الجواب من خلفها ، بصوت هادئ عميق ، يقول :

- يطلقون عليه هناك اسم (إصبع الشيطان) .

استدارت فى حركة حادة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصرها على رجل فى أواخر الخمسينات من عمره ، طويل ، نحيل ، أشيب الفودين ، له عينان بارزتان لديهما قدرة مدهشة على بث الخوف ، فى كل من يتطلع إليهما ..

وفى هدوء عجيب ، أضاف الرجل :

- معذرة لإفزاعك يا سيدتى ، ولكن أذنىّ التقطتا سؤالك ، ولم أستطع منع نفسى من إجابته .

ثم شدّ قامته ، فبدا أكثر طولاً ، وهو يضيف :

- أنا الدكتور (فريد عبد الخالق) ، أستاذ التاريخ الطبيعى ، وأحد قادة الحملة التى كشفت كل هذا .

حدقت فيه (سلوى) ، بعينين لم يفارقهما الخوف بعد ، فمدّ (نور) يده إليه ، محاولاً تخفيف الموقف ، وهو يقول :

- مرحبًا يادكتور (فريد) .. أنا المقدّم (نور الدين) ، من المخابرات العلمية .

صافحه الرجل ، وهو يتفحّصه بنظره ، قائلاً :

- أعلم هذا .. أعلم هذا .

ثم أشار إلى رجل قصير ممتلئ ، وهو يقول :

- دكتور (مينا) .. دعنى أقدّم لك المقدّم (نور) ، الذى حدثتك عنه .

أسرع الدكتور (منير) يصافح الجميع بدماثة شديدة ، فى حين قال (نور) فى حذر :

- إذن فقد كنتما تتحدثان عنى .

ارتبك الدكتور (منير) ، وهو يقول :

- احم .. بالطبع .. كنا نقول : إن ما أحضرناه سيثير اهتمامك بالتأكيد .. وبالذات (إصبع الشيطان) .

تساءل (نور) ، فى حذر أكثر :

- ولماذا ؟!

أتاه الجواب على لسان الدكتور (حجازى) ، وهو يقول فى حزم متوتر :

ـ سأخبرك أنا لماذا يا (نور) ! لأن هذا الإصبع ليس بشريًا بالتأكيد .

التفت إليه الكل بدهشة عارمة ، وهتفت الدكتور (منير) ، فى لهجة أقرب إلى الذعر والانهيار :

ـ كيف عرفت هذا ؟! لقد كنا نتصورُ طوال الوقت أنهم قد صبغوه بوسيلة ما .

أجاب الدكتور (حجازى) فى حزم :

ـ إنه أمر أشبه باللعبة ، بالنسبة لخبير فى الطب الشرعى ، ثم أشار إلى ذلك الإصبع ، مستطردًا :

ـ من النظرة الأولى ، يبدو واضحًا أن هذا الإصبع مبتور من منبته ، باستخدام آلة حادة رفيعة ، وقد يبدو للعين غير الخبيرة ، أنه إصبع سبابة آدمى مبتور ، إلا أن الفحص الظاهرى يشير إلى وجود ثلاث مفصلات على طوله ، بخلاف الأصابع البشرية ، التى تحوى

مفصلين فحسب ، ثم إن الإظفر حرشوفى حاد ، وهذه كلها سمات غير بشرية .

تساءلت (نشوى) فى توتر :

ـ ألا يمكن أن يكون مجردُ إصبع بشرى ، لشخص أصابته بعض التحورات الخلقية فى الرحم ، قبيل الولادة ؟!

هزَّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، قائلاً :

ـ احتمال ضئيل للغاية ، خاصة وأنه لا توجد حالة واحدة مسجلة بهذا المضمون ، ضمن حالات التحوّر الجنينى ، ولكن ..

قاطعه (نور) ليسأله فى لهفة :

ـ ولكن ماذا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة :

ـ ولكن هناك وسيلة مضمونة مائة فى المائة ، لحسم هذا الأمر .

سأله الدكتور (فريد) فى اهتمام شديد :

ـ وما هى ؟!

أجاب الدكتور (حجازى) فى حزم :

ـ فحص التركيب الجينى لأنسجة تلك الإصبع .

امتقع وجه الدكتور (مينا) ، على نحو عجيب ، فى حين بدا صوت الدكتور (فريد) شديد التوتر ، وهو يقول فى عصبية :

ـ كلا .. لا يمكنك أن تفعل هذا .

سأله (نور) فى حذر :

ـ ولماذا ؟!

صاح الرجل ، فى حدة بالغة :

ـ لا يمكنكم هذا فحسب .

كان صوته غاضبًا ، عصبيًا ، مرتفعًا ، حتى إن كل من فى القاعة قد التفت إليه فى دهشة قلقة ، و ...

وفجأة ، انطفأت كل الأضواء دفعة واحدة ..

انطفأت داخل وخارج القاعة ..

بل داخل وخارج المتحف ، والمنطقة كلها ..

وفى دهشة بالغة ، هتف مدير المتحف :

ـ مستحيل ! المفترض ألا يحدث هذا أبدًا ..

كان (نور) يدرك جيدًا ما يعنيه الرجل ، فالمتحف الحديث تم تزويده بمولدى كهرباء إضافيين ، بخلاف التيار الكهربى الرئيسى ، وببرنامج خاص ، يمكنه نقل التغذية الرئيسية ، فى حالة قطع التيار الرئيسى ، إلى المولّد الإضافى الأوّل ، ثم الثانى ، خلال واحد على خمسين من الثانية ، حتى إن أحدًا لا يمكن أن ينتبه إلى أن التيار الكهربى الرئيسى قد انقطع ، ولو لحظة واحدة ..

فكيف حدث هذا إذن ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

مع آخر ما دار فى ذهنه ، أضيئت القاعة فجأة ..



فبين أصابع الكاهن المعروقة النحيلة ، كانت الدمية تتلوّى وتقاوم ، كما لو نها بشرى مصغر ، يواجه خطرًا داهمًا ..

أضيئت بضوء أحمر رهيب ، جعل (نشوى) تطلق شهقة رعب ، و(سلوى) تقفز من مكانها مذعورة ، و ...

واتسعت عيون الدكتور (فريد) والدكتور (مينا) عن آخرهما ، في رعب هائل ، شاركهما فيه معظم الموجودين ، وهم يحدقون في كاهن نحيل ، أصلع الرأس ، حاد النظرات ، يرتدى زى كهنة الفراعنة القدامى ، وحول عنقه قلادة من عظمة بشرية كبيرة ، وفى يده دمية ..

دمية بدت ، تحت ذلك الضوء الرهيب ، أشبه بنسخة مصغرة من الدكتور (فريد) ..

نسخة مصغرة حية ..

فبين أصابع الكاهن المعروقة النحيلة ، كانت الدمية تتلوّى وتقاوم ، كما لو أنها بشرى مصغر ، يواجه خطرًا داهمًا ..

وبكل رعب الدنيا ، تراجع الدكتور (فريد) ، وهو يضرب الهواء بذراعيه صارخًا :

ـ لا .. لا .. لا ..

ولكن الكاهن الرهيب رفع يده الأخرى ، فبدت فيها إبرة سميكة ، طويلة ، تألقت عيناه على نحو مخيف ، وهو يغرسها فى قلب الدمية بالضبط ..

وفى اللحظة نفسها ، ودون اتفاق مسبق ، وثب (نور) و(أكرم) نحو ذلك الكاهن ، والأول يصرخ بلهجة صارمة آمرة :

- أغلقوا الأبواب ..

وقبل أن تكتمل صرخته ، عادت الأضواء كلها تنطفئ دفعة واحدة ، ودوت فى المكان صرخة رعب هائلة رهيبة ، يقشعر لهولها الولدان ، لما تحمله من ذعر وألم وارتياع بلا حدود ..

وارتطم (نور) و(أكرم) ببعضهما ، وصاح الأخير فى حدة :

- أين هو ؟! أين ذهب ؟!

ومع نهاية صيحته ، عادت الأضواء الأصلية تسطع فى المكان كله ..

وفى هذه المرة ، لم يشهق أحد ..

بل لم ينبس مخلوق واحد ببنت شفة ، على الرغم من الرعب الهائل ، الذى سرى فى كل الأجساد بلا رحمة ..

فعلى أرضية المتحف ، وعلى مسافة متر واحد من تلك الجمجمة ، كان الدكتور (فريد) ملقى أرضًا ، جاحظ العينين ، ممتقع الوجه ، ولسانه يتدلى خارج فمه فى مشهد رهيب ..

وعلى مسافة متر آخر منه ، كان الدكتور (مينا) يرتجف فى رعب هائل ، وأسنانه تصطك ببعضها ، بصوت قوى مسموع ..

أما ذلك الكاهن الرهيب ، فقد اختفى وتلاشى تمامًا ..

وكذلك إصبع الشيطان ..

وكان هذا تطورًا مذهلاً ..

ومخيفًا ..

للغاية .

* * *

٢ ـ المـــوت ..

« السبب الوحيد للوفاة هو الرعب الشديد .. »

نطق الدكتور (حجازى) العبارة فى حيرة واضحة ، وتوتر ملحوظ ، وهو يناول تقريره الرسمى لـ (نور) ، مستطردًا :

ـ عندما بدأت فى فحص الجثة ، كنت واثقًا من أننى سأجد أى سبب آخر .. رصاصة صامتة .. نوع من السموم النادرة ، أو حتى لطمة فى الظلام ، ولكن كل شىء كان عاديًا سليمًا ، فيما عدا ذلك الرعب ، الذى حفر نفسه على ملامح الدكتور (فريد) ، وتسبب فى توقف قلبه وأنفاسه ، وانهيار دورته الدموية دفعة واحدة .

ثم هز رأسه فى قوة ، قبل أن يلقى جسده على أقرب مقعد ، ويلوح بذراعه كلها ، هاتفًا :

ـ إننى لم أر ، فى حياتى كلها ، شيئًا بهذه الحدة .

وأطلق زفرة شديدة التوتر ، مضيفًا :

ـ أو ظاهرة أكثر رهبة ، مما شاهدناه كلنا ، فى ذلك المتحف .

أشار (نور) بسبابته فى حزم ، وهو يقول :

ـ فى القاعة الجديدة يا دكتور (حجازى) .

سأله الرجل فى توتر :

ـ وما الفارق ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ فارق كبير يا دكتور (حجازى) ، فالقاعة الجديدة تم انشاؤها حديثًا ، وكل شىء بها لم يختبر بعد ، ومن الممكن أن يضاف إليها أى شىء .

سأله (رمزى) :

ـ مثل ماذا يا (نور) ؟!

أجابه (نور) ، فى شىء من العصبية :

ـ منظم للأضواء .. مرشحات للألوان .. أجهزة لبث الصور الهولوجرامية .. ألف شىء يمكن دسه فى مليون بقعة ، بحيث يعمل وقتما يشاء واضعه .

تطلّع إليه الدكتور (حجازى) لحظة، قبل أن يسأله فى تحفظ:

- أهذه نظريتك حول ما رأيناه وما حدث ؟! مجرّد خداع بصرى فائق ؟!

لوّح (نور) بيده، قائلاً:

- لم أضع أية نظريات بعد .. (سلوى) و(نشوى) يقومان بفحص المكان الآن، و(أكرم) ذهب مع الدكتور (مينا)، لإحضار كل الصور والوثائق والأوراق، الخاصة بالبعثة الاستكشافية، ونحن نحاول الاتصال بالدكتورة (عبلة)، لمعرفة سر عدم حضورها الحفل، وعندما يتحقق كل هذا، سأبدأ فى دراسة الموقف كله، وأضع نظريتى حول الأمر.

سأله (رمزى) فى اهتمام قلق:

- (نور) .. لماذا أنت عصبى إلى هذا الحد ؟!

التفت إليه (نور) بحركة حادة، قائلاً:

- هل ستبدأ فى القيام بدورك معى ؟!

قال (رمزى) فى هدوء:

- إنه مجرّد سؤال يا (نور) .. سؤال من صديق، يشعر بالقلق على صديقه .. أليس هذا أحد حقوقى عليك ؟!

حدّق (نور) فى وجهه لحظة، قبل أن يهزّ رأسه، ويطلق من أعمق أعماق صدره زفرة متوترة، قائلاً:

- اعذرنى يا صديقى، ولكننى أثق تمام الثقة، فى خبرة وتقدير الدكتور (حجازى)، ولكننى عاجز، فى الوقت ذاته، عن تصديق مصرع شخص بالرعب وحده.

أجابه (رمزى) فى اهتمام:

- هذا ممكن علميًّا يا (نور) .. فليست العوامل الخارجية وحدها تقتلنا .. بل الداخلية أيضًا .. ولو أن الدكتور (فريد) كان يؤمن تمامًا بقدرة ذلك الكاهن على قتله، عن طريق غرس تلك الإبرة فى دميته شبه الحية، فرؤية هذا يحدث أمام عينيه، فى تلك الظروف، كان يكفى بالفعل لموته.

غمغم الدكتور (حجازى):

- وهذا ما حدث .

نقل (نور) بصره بينهما بضع لحظات ، قبل أن يطلق زفرة حارة ، ويترك جسده يسقط على المقعد القريب ، قائلاً :

- هذا يضع أمامنا إذن مجموعة من الحقائق الأوّليّة فى هذه القضية العجيبة .. الدكتور (فريد) كان واثقًا بقدرة ذلك الكاهن على قتله ، بوساطة ذلك الأسلوب الوثنى البدائى ، الذى رأيناه جميعًا .. ثم إن ذلك الكاهن لم يكن مجرّد صورة هولوجرافية ، بدليل أن الإصبع قد اختفى معه ، دون أن يصاب الصندوق الزجاجى ، الذى كان يحويه ، بأى شرخ ، بل ودون أن نجد عليه بصمة إصبع واحدة .

قال (رمزى) فى اهتمام :

- إما هذا ، أو أنه كان هناك شريك ، تحرك فى أثناء انشغالنا بذلك الكاهن ، وسرق الإصبع .

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

- هذا لايخرجنا من السؤال الرئيسى .. كيف سرقه ، دون أن يلمس صندوقه الزجاجى ، أو حتى يفتحه ؟!

ثم نهض فجأة ، وهو يتابع فى اهتمام :

- ولنضف إلى هذا بعض الأسئلة الأخرى .. أولها : لماذا شعر الدكتور (فريد) بكل هذا الرعب ، الذى أدى إلى مصرعه على هذا النحو ؟! وثانيها : ما سر الخوف الشديد ، الذى يشاركه إياه الدكتور (مينا) أيضًا ؟! وهذا ينقلنا إلى التساؤل عن سر عدم حضور الدكتورة (عبلة) الحفل ، على الرغم من أنه يعنى بكشف مهم ، شاركت فيه بدور رئيسى ؟! وكتداع طبيعى ، سيقودنا هذا أيضًا إلى تساؤل رئيسى جوهرى .. كيف حصل العلماء الثلاثة على كل تلك التحف والآثار ، من معبد يحرسه كهنته ، على مدار عدة قرون ، وليس من السهل ، بل من المستحيل أن يفرطوا فى ذرة واحدة منه ؟!

كانت تساؤلاته كلها منطقية ، وتفتح ألف باب للتفكير والاستنتاج ، لذا فقد غمغم (رمزى) فى انفعال :

- (نور) .. إننا نحتاج إلى معرفة ماحدث فى تلك الرحلة الاستكشافية بالضبط .. لابد أن نراجع كل ما أتوا به ، وكل ماسجلوه عنها .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

- بل نحتاج إلى معرفة كل مالم يسجلوه عنها ياصديقى ..

مرة أخرى ، كانت عبارته سليمة تمامًا ..

ومخيفة ..

إلى أقصى حد ..

* * *

احتقن وجه (مشيرة) ، من شدة الغضب ، وهى تهتف بكل انفعالها ، فى وجه رجل الأمن الواقف أمامها بكل هدوء :

- ليس هذا من حقك .. لايمكنك ، بحكم القانون ، أن تمنع إذاعة وبث واقعة ، شهدها أكثر من مائة شخص .

هزّ رجل الأمن كتفيه ، وقال بنفس الهدوء المستفز :

- إننا نحاول منع الذعر الذى أصابهم ، من الانتقال إلى الملايين ، الذين يشاهدون جريدتك المرئية ياسيّدتى ، ثم إن عدم إذاعة الأمر ، تجعله يتردد باعتباره شائعة فحسب .

لوّحت بسبّابتها فى وجهه ، هاتفة :

- هذا يمنحه قوة أكبر ، لو أنكم لا تدركون هذا .

زفر الرجل ، وكأنما يحاول السيطرة على أعصابه ، وأشار بيده ، قائلًا :

- لن أتورّط معك في محاورة كلامية ياسيّدتى ، فأنا رجل أمن ، وعملى يحتّم علىّ طاعة ما أتلقاه من أوامر فحسب .

سألته فى تحد :

- وهل يمكنك منع مائة شخصية عامة ، من التحدّث عما رأوه بأعينهم ، منذ ساعات قليلة ؟!

ابتسم فى ثقة ، مجيبًا :

ـ إنهم مائة واثنان بالتحديد ياسيِّدتى .. خمسة منهم ينتمون إلى المخابرات العلمية ، ويعرفون واجبهم فى هذا الشأن ، وثمانية من رجال أمن المتحف ، بالإضافة إلى المدير ، ونائبه ، وأربعة من موظفيه ، وهذا يجعل عدد الذين سيحفظون سر ما حدث فى المتحف ، بحكم مواقعهم ، يرتفع إلى تسعة عشر شخصًا .. يتبقى أمامنا إذن ثلاثة وثمانون شخصًا ، أقنع رؤسائى بالفعل سبعة وستين منهم بالتزام الصمت ، حتى لحظة قدومى إلى هنا ، ومن المؤكَّد أن الوقت الذى استغرقه نقاشنا هذا ، قد ربح نصف ما تبقى على الأقل ، ولو وافقت أنت على التزام الصمت ، للمصلحة العامة ، فلن يتبقى أمامنا سوى سبعة أوستة أشخاص على الأكثر .

حدّقت فيه لحظة ، قبل أن تقول فى حدة :

ـ من الواضح أنك ماهر فى الحساب ، ولكننى مازلت أصرّ على أنه من حق الجماهير أن تعلم ما حدث .

هزّ كتفيه ، متسائلاً :

ـ وبمَ يمكن أن يفيدهم هذا ؟!

حاولت أن تبحث عن جواب مقنع لسؤاله الأخير ، ثم وجدت نفسها تقول فى عصبية :

ـ المهم أن يعلموا .

سألها ، وهو يميل نحوها :

ـ ثم ؟!

مرة أخرى لم تجد جوابًا لسؤاله ، فقالت فى عصبية أكثر :

ـ هذا حقهم .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ودود ، وهو يميل نحوها أكثر ، قائلاً :

ـ كلمة حق ، يراد بها باطل ياسيِّدتى ، فأى حق هذا الذى تتحدثين عنه ؟! حقهم فى أن يصابوا بالذعر ، قبل أن نتبيّن حتى أبعاد ما سيصيبهم به ؟! أية فائدة يمكن أن تتحقّق لهم من هذا ؟! صدقينى ياسيِّدتى .. لو أن الأمر يتعلق بجريمة غامضة ، أو فساد فى الحكم ،

لما بذل مخلوق واحد أدنى جهد ، لمنعك من إعلان مالديك ، مادام فى هذا صالح الأمة كلها ، أما فى هذه الحالة ، فالأفضل للكل أن نتروى ، وأن نلتزم الصمت ، حتى تتبين الحقائق ، ثم نعمل على نشرها بكل صراحة ووضوح .

كان حديثه مقنعًا إلى حد كبير ، إلا أن طاقة العناد فى أعماقها جعلتها تقول فى إصرار :

ـ ومن سيضمن لى السبق عندئذ ؟!

انطلقت منه ضحكة عالية ، قبل أن يقول :

ـ سيدة (مشيرة) .. أنت تحصلين على السبق دومًا .

قالت فى زهو متعال :

ـ لأننى أفضل صحفية فى (مصر) .

غمغم مبتسمًا :

ـ بالتأكيد .

لم يكد ينطقها ، حتى ارتفع رنين هاتفه الخلوى ، المزروع فى ساعة معصمه ، فرفعها إلى شفتيه ، وضغط زرًا فى جانبها ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ من المتحدث ؟!

انطلق أزيز تحذيرى خاص من الساعة ، فجذب منها سلكًا رفيعًا ، ينتهى بسماعة أذن دقيقة ، دسها فى أذنه ، ليستمع إلى محدثه ، دون أن تسمع (مشيرة) مايقال ..

ولقد أشعرها هذا بشىء من التوتر والعصبية ، وخاصة عندما انعقد حاجبا رجل الأمن فى شدة ، وهو يقول :

ـ يا إلهى ! الآن ؟!

هتفت به فى لهفة :

ـ ماذا حدث ؟!

أنهى الاتصال ، دون أن يجيب سؤالها ، وشدّ قامته ، وهو يسألها فى صرامة :

ـ هل اتفقنا على كتمان الأمر مؤقتًا يا سيدتى ؟!

قالت فى سرعة :

ـ بالتأكيد ، ولكن ..

قاطعها فى حزم صارم ، وهو يدور على عقبيه :

ـ عظيم .

ثم اندفع مغادرًا مكتبها ، فى جريدة (أنباء الفيديو) ، دون أن يضيف حرفًا واحدًا ، وتركها خلفه تشتعل لهفة وفضولاً ..

فبغريزتها كأنثى ، وخبرتها كصحفية محنكة ، أدركت أن شيئًا جديدًا قد حدث ..

شيئًا يتعلق بالقصة نفسها ..

قصة ذلك الكاهن الرهيب ..

الغامض ..

بشدة ..

* * *

زفرت (سلوى) ، بكل ما فى أعماقها من توتر وانفعال وإجهاد ، وهى تتراجع فى مقعدها ، أمام شاشات الفحص ، وتهزّ رأسها ، قائلة :

ـ كل شىء على ما يرام .

تثاءبت (نشوى) بدورها ، وهى تقول فى إجهاد واضح :

ـ هذا ما يبدو لى أيضًا .

عادت (سلوى) تهزّ رأسها ، وتقول :

ـ ولكن هذا يزيد الأمر كله غموضًا ، فلقد شاهدنا ظاهرة رهيبة ، وبدون وجود مسببات علمية وتكنولوجية لها ، سنجد أنفسنا أمام أمر مخيف .. مخيف للغاية ..

صمتت لحظة ، شرد خلالها بصرها فى الفراغ ، وسرت فيها قشعريرة باردة كالثلج فى جسدها ، قبل أن تضيف :

ـ أمر يذكرنى بـ ..

بترت عبارتها بغتة ، فسألتها (نشوى) فى اهتمام :

- بماذا يا أمى ؟!

زفرت (سلوى) مرة أخرى ، وهزت رأسها مرة ثالثة فى قوة ، قائلة فى حزم متوتر :

- بفترة أكره أن أستعيد ذكراها .

شعرت (نشوى) بفضول شديد ، لمعرفة ما تعنيه أمها ، وراحت تعتصر عقلها ، لاستعادة كل ما رواه لها الجميع ، عن المغامرات التى خاضها الفريق ، قبل أن تنضمّ هى إليه ، فى محاولة لمعرفة ما تعنيه أمها ، و ...

« لن يروق هذا لـ (نور) أبدًا .. » ..

قطعت (سلوى) أفكارها بالعبارة ، وهى تعتدل فى مجلسها ، وتعاود العمل على أجهزة الفحص ، متابعة فى حسم :

- سأفحص كل شىء مرة أخرى .

سألتها (نشوى) :

- ماذا تتوقعين ؟!

أجابتها (سلوى) ، وهى تعمل فى سرعة وإصرار :

- من يدرى ؟! لقد فحصنا كل التوصيلات ، وكل الأجهزة فى القاعة ، وكل الجدران ، والسقف ، والأرضية ، وراجعنا كل ما سجلته آلات الرصد ، من أركانها الأربعة ، ولم نجد شيئًا .

قالت (نشوى) فى اهتمام :

- ربما أضاف بعضهم أجهزة ما ، ثم رفعها بعد أن أدت مهمتها .

سألتها (سلوى) فى توتر :

- ومتى يمكنه أن يفعل هذا ؟!

هزّت (نشوى) كتفيها ، قائلة فى حذر :

- ربما فى فترة انقطاع التيار ، أو ...

اعتدلت (سلوى) على مقعدها بحركة حادة ، وهى تهتف :

- رباه ! هذا صحيح .

سألتها (نشوى) فى لهفة :

هل تقصدين أن هذا ما حدث ؟!

هتفت بها (سلوى) ، وأصابعها تقفز مرة أخرى فى سرعة ، إلى أزرار الكمبيوتر :

ـ بل هذه هى الفترة التى لم تفحصها جيدًا :

سألتها (نشوى) بلهفة أكثر :

ـ ألدنيا وسيلة لفحصها ؟!

أجابتها فى حماسة :

ـ نعم ، ولست أدرى لماذا تجاهلها الكل ؟! ربما لأن النظام الإليكترونى للمبنى ، يمنع انقطاع التيار الكامل ، الذى حدث أمس .

بدت الحيرة على وجه (نشوى) وفى صوتها ، وهى تسأل :

ـ هل يعنى هذا شيئًا ؟!

أجابتها (سلوى) ، وهى تضغط آخر أزرار الكمبيوتر ، ثم تتراجع بحركة ملؤها الانفعال :

ـ بالتأكيد ، فعلى الرغم من استحالة انقطاع التيار الكامل ، من الناحية النظرية ، فقد تمت إضافة جهاز رصد بالأشعة تحت الحمراء ، يعمل بصورة تلقائيـة ، إذا ما ساد الظلام .

كادت (نشوى) تقفز من مقعدها ، وهى تهتف فى لهفة :

ـ وهل عمل الجهاز بالفعل ؟!

أشارت (سلوى) بيدها إلى الشاشة ، قائلة فى ارتياح :

ـ ها هو ذا .

أدارت (نشوى) عينيها إلى الشاشة فى سرعة ، وتطلعت إليها فى لهفة ، وهى تعرض ما سجله جهاز الرصد الحرارى ، عندما انقطع التيار الكهربى تمامًا ..

ثم شهقت (سلوى) ..

واتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما ..

فما رصده الجهاز الحرارى ، خلال لحظات الإظلام التام كان مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ..

للغاية ..

* * *

أوقف (أكرم) سيارته العتيقـة ، أمـام منزل الدكتور (مينا) ، والتفت إلى هذا الأخير ، قائلاً فى شىء من العصبية :

- هل لك أن تمنحنى سببًا منطقيًا واحدًا ، لاحتفاظك بكل الوثائق والصور فى منزلك ؟!

انعقد حاجبا الرجل ، وهو يغادر السيارة ، قائلاً فى توتر :

- الظروف حتمت علينا اتخاذ هذا القرار .

سأله (أكرم) فى حدة :

- أكان قرارًا جماعيًا ؟!

اتجه الرجل نحو منزله ، قائلاً فى صرامة متوترة :

- كل قراراتنا كانت جماعية .

لحق به (أكرم) ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أن وقع بصره بغتة على النافذة الزجاجية لمنزل الدكتور (مينا) ..

فهنـاك ، علـى زجـاج النـافذة المـزدوج ، كـانت تنعكس صورة واضحة ، لذلك الراهب المخيف ..

وانتفض جسد (أكرم) كله فى عنف ..

فوفقًا للصورة المنعكسة ، كان ذلـك الراهب يقف على مسافة متر واحد منه ..

وبمحاذاته تمامًا ..

واستدار (أكرم) بحركة حادة ، إلى حيث يفترض وجود ذلك الكاهن ، وهو يسحب مسدسه بسرعة ، و ...

ولكن المكان كان خاليًا ..

لم يكن الكاهن إلى جواره ..

ولكن صورته كانت تنعكس على الزجاج ، وهو يمسك عظمة فخذ آدمية ، ويلوّح بها فى الهـواء ، وعيناه تتألقان على نحو رهيب ..

واستدار (أكرم) بحركة حادة ، إلى حيث يفترض وجود ذلك الكاهن ، وهو يسحب مسدسه بسرعة ، و ...

رهيب للغاية ..

ولسبب ما ، وجد (أكرم) نفسه يهتف بالدكتور (مينا) :

ـ لا .. لا تفتح الباب .

فى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها هتافه ، جذب الدكتور (مينا) مقبض الباب ، و ...

واندلعت ألسنة اللهب ..

بمنتهى العنف ..

* * *



٢ـ السر.. والسحر..

أدى رجل الأمن، المسئول عن متابعة القضية، التحية العسكرية أمام (نور)، ثم قال بلهجة قوية حازمة:

ـ الدكتورة (عبلة) لم يمكن العثور عليها قط.

انعقد حاجبا (نور)، وهو يقول فى توتر:

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط؟! إننا نتحدث عن أستاذة جامعية، وخبيرة من خبراء التاريخ الطبيعى، ومثلها لايمكن أن يختفى هكذا، دون أن يترك خلفه ولو أثر واحد، يمكن أن يقود إليه.

قلب رجل الأمن كفيه فى حيرة، وهو يقول:

ـ ولكننا فعلنا كل مابوسعنا بالفعل ياسيادة المقدّم.. لقد غذينا الكمبيوتر برقمها القومى، وبحثنا عنها فى كل شبر فى (مصر)، وراجعنا سجلات الفنادق، والمطاعم، وشركات الطيران، وحددنا أرقام بطاقات

الائتمان الخاصة بها، ووجدنا أن آخر استخداماتها كانت منذ ستة أيام، حيث لم يرها أو يلتقى بها أى مخلوق بعدها، وزرنا منزلها، وطرقنا بابه كل ساعة، دون أى جواب، وبحثنا عنها فى الجامعة، وكل مكان اعتادت الذهاب إليه، وكل هذا دون جدوى.

قال (نور) فى عصبية:

ـ من المستحيل أن تكون قد تلاشت تمامًا هكذا.

تردّد الدكتور (حجازى) لحظة، ثم قال:

ـ هناك احتمال آخر يا (نور).

سأله (نور) فى اهتمام:

ـ ما هو؟!

تردّد الرجل لحظة أخرى، قبل أن يقول:

ـ ماذا لو أنها.. أعنى أن منزلها مغلق، وهى تعيش وحدها، وربما.. احم.. أقصد أن..

قاطعه (نور) بإشارة من يده، وهو يقول:

ـ آه .. فهمت ما تعنيه يا دكتور (حجازى) .

ثم التفت إلى رجل الأمن ، متابعًا :

ـ استصدر أمرًا باقتحام منزلها ، فمن المحتمل أن تكون قد لقيت مصرعها داخله و...

قاطعه (رمزى) فى هدوء عجيب :

ـ لست أعتقد هذا يا (نور) .

استدار إليه (نور) يسأله فى اهتمام :

ـ ولماذا ؟!

أشار (رمزى) بيده ، قائلاً :

ـ لو أن الدكتور (فريد) كان واثقًا بأن ذلك الكاهن يمكن قتله ، بتلك الوسيلة العجيبة ، فهذا يعنى أنه قد شاهد هناك ، فى ذلك المعبد الغامض ، ما أقنعه بإمكانية حدوث هذا ، ومن الطبيعى أن تكون زميلة خبرته ورحلته ، الدكتورة (عبلة) ، قد أدركت هذا أيضًا ، وتدرك كذلك أنه هناك سبب ما ، يدعو ذلك الكاهن إلى مطاردتهم ، والسعى للقضاء عليهم هنا .

عقد (نور) ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

ـ عظيم .. وما الذى نستنتجه من كل هذا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ أن الدكتورة (عبلة) داخل منزلها بالفعل ، على قيد الحياة ، ولكنها تختبئ فى خطر رهيب ، تخشاه خشيتها للموت .. ولو أنك راجعت كشف ما ابتاعته ، عندما استخدمت بطاقتها الائتمانية لآخر مرة ، فستجده كومة من كل أنواع الأطعمة والمشروبات المحفوظة على الأرجح .

تمتم رجل الأمن ، وهو يحدق فى (رمزى) بانبهار :

ـ هذا صحيح .

انعقد حاجبا (نور) بشدة بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن استدار إلى رجل الأمن ، قائلاً فى لهجة حازمة ، صارمة ، آمرة :

ـ فليكن يا رجل .. لقد انتهى عملكم هنا .. سأتولى أنا والدكتور (رمزى) هذه المهمة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى لهجة قوية :

ـ إنها تحتاج إلى خبراء .

رفع رجل الأمن يده بالتحية العسكرية ، قائلاً :

ـ كما تأمر ياسيادة المقدّم .

نطقها على نحو يوحى بشعوره بالارتياح ، لإعفائه من هذه المهمة ، وهو ينصرف بخطوات سريعة واسعة ، ولم يكد يغادر المكان ، حتى تنحنح الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

ـ معذرة يا (نور) ، ولكننى أريد تصريحًا بفحص بعض محتويات القاعة الجديدة .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ مثل ماذا ؟!

لوّح الدكتور (حجازى) بكفه بضع مرات ، وكأنما يحاول انتزاع مابداخله ، قبل أن يندفع ، قائلاً :

ـ تلك الجمجمة هناك .. ربما تبدو أشبه بجمجمة نوع من القردة النادرة ، ولكن لدى بعض الشكوك بشأنها .. صحيح أننى لم أفحصها جيدًا ، ولكن ..

قاطعه (نور) ، وهو يدس مسدسه الليزرى فى حزامه ، قائلاً :

ـ اذهب إلى هناك يادكتور (حجازى) ، وستجد التصريح فى انتظارك .

ثم أشار إلى (رمزى) ، مستطردًا :

ـ هيا بنا .. الأمر سيحتاج إلى خبراتك حتمًا .

ودون أن ينطق (رمزى) بحرف واحد ، تبعه إلى الخارج ، وهو يدرك ، فى أعمق أعماقه ، أن القدر ما زال يخبئ لهم الكثير .. والكثير جدًا ..

* * *

بكل ما يملك من قوة ، وثب (أكرم) فى اللحظة الأخيرة ، ليدفع الدكتور (مينا) بعيدًا عن الباب ، فى

نفس اللحظة التى اندلعت فيها ألسنة اللهب بمنتهى العنف ..

وعلى الرغم من سقوطهما بعيدًا ، كاد لفح النيران يشويهما شيًا ، والمنزل كله يشتعل ككتلة من القماش المبلل بالوقود ..

وبكل رعبه ، صرخ الدكتور (مينا) :

ـ ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟!

سحب (أكرم) مسدسه الليزرى ، وهو يهتف :

ـ كان ينبغى أن نتوقَّع أمرًا كهذا .

لم يكن يدرى ما الذى يمكن أن يفعله مسدسه التقليدى ، فى مواجهة ظاهرة رهيبة مخيفة كهذه ، وعلى الرغم من هذا ، فقد اندفع به نحو المنزل ، الذى تلتهمه النيران فى شراهة مخيفة ، وهو يهتف فى عصبية :

ـ رباه ! أين أجهزة إطفاء الحريق الآلية ؟! لماذا لم تعمل ؟! لتخفيف الأمر على الأقل .

كان المنزل أشبه بأتون مشتعل ، ولفح النيران يمنع أى مخلوق من الاقتراب ، لمسافة خمسة أمتار على الأقل ، لذا فقد راح (أكرم) يدور حوله ، وهو يهتف عبر جهاز الاتصال فى ساعته :

ـ نداء إلى كل وحدات الإطفاء الطائرة فى الجوار .. نداء إلى كل الوحدات ..

انتبه فجأة ، وهو يختم نداءه ، إلى أن الدكتور (مينا) يرقد وحده ، فى حديقة المنزل ، فانطلق يعدو عائدًا إليه ، وهو يؤنب نفسه ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! لو أصابه مكروه ، فلن أغفر هذا لنفسى قط .. لم يكن ينبغى أن أتركه وحده قط .. يا إلهى ! يا إلهى !

تبخَّر نصف ذعره وتوتره ، عندما وقع بصره على الجيولوجى ، وهو ينهض من سقطته ، ويلتقط منظاره الطبى من الأرض ، فاندفع نحوه ، هاتفًا :

ـ أأنت بخير ؟!

أجابه الدكتور (مينا) ، فى عصبية بالغة :

ـ لقد فقدت منزلى ، وكل أصول وثائق البعثة الاستكشافية ، وصورها ، وتسجيلاتها ، وكادت النيران تلتهمنى ، ولكننى بخير ، لو أنك تقصد بقائى على قيد الحياة .

عاونه (أكرم) على إكمال نهوضه ، وهو يقول فى حدة :

ـ فلتشكر الله (سبحانه وتعالى) على هذا .. الحياة هى الشىء الوحيد ، الذى لايمكن تعويضه .

لوّح الدكتور (مينا) بذراعه فى حدة ، صائحًا :

ـ ومن قال إنها ستبقى ؟!

ثم التفت إلى (أكرم) ، بوجه شاحب كوجوه الموتى ، وهو يضيف فى ذعر بلاحدود :

ـ لقد صدر الحكم بإعدامنا ، جزاء ما اقترفته أيدينا ، وأحكام (الفودو) غير قابلة للنقض .. هل تفهم ؟! هل يمكنك أن تستوعب هذا ؟!

أجابه (أكرم) فى صرامة :

ـ كلاً .. لايمكننى استيعاب أى شىء يتجاوز حدود المنطق والعقل .

كاد الدكتور (مينا) يهتف بعبارة جديدة ، إلا أن وجهه امتقع بغتة ، أكثر مما كان ، واتسعت عيناه حتى كادتا تلتهمان وجهه كله ، وهو يلوّح بسبّابته نحو بقعة ما ، خلف ظهر (أكرم) ، هاتفًا بكل رعب الدنيا :

ـ لقد جاء .. لقد جاء .

استدار (أكرم) بجسده ومسدسه ، إلى النقطة التى يشير إليها الدكتور (مينا) ، قبل أن تتسع عيناه عن آخرهما ، وتنطلق فى جسده انتفاضة عنيفة ، وهو يحدّق فى ألسنة اللهب ، التى تلتهم المنزل بلارحمة ..

فهناك ، وعند الباب ، الذى أتت عليه النيران ، ووسط ألسنة اللهب الرهيبة ، كان يقف ذلك الكاهن ..

يقف هادئًا ساكنًا ، وكأنما استحالت النار بردًا

وسلامًا على جسده ، بزيه الفرعونى ، وقلادة العظام حول عنقه ، وعظمة الفخذ الآدمية ، التى يمسك بها بكفيه ، وهو يتطلع إليهما بنظرة حادة رهيبة مخيفة ..

وفى انهيار ، سقط الدكتور (مينا) على ركبتيه ، قائلاً :

ـ لقد جاء من أجلى .. جاء من أجلى .

وفى بطء ، رفع الكاهن عظمة الفخذ بيمناه ، وراح يديرها فى الهواء ، وهو يتقدم نحوهما ، متجاوزًا ألسنة اللهب ، فصاح الدكتور (مينا) بانهيار أكثر :

ـ افعلها .. أنا أستحقها .. أنا أستحقها ..

كان جسده يرتجف بعنف ، والكاهن يتطلع إلى عينيه مباشرة ، وهو يخفض عظمة الفخذ الآدمية فى بطء ، ويشير بها إليه ، و ...

وهنا ، انتفض جسد (أكرم) مرة أخرى ، وهو يستعيد سيطرته على نفسه ، هاتفًا فى عصبية :

ـ لا ..

وفى حركة واحدة ، وضع كفه اليسرى على عينى الدكتور (مينا) ؛ ليحجب عنهما مرأى ذلك الكاهن الرهيب ، وهو يرفع يده اليمنى بمسدسه ، ويضغط زناده بكل غضبه وتوتره :

وانطلقت رصاصات (أكرم) ..

انطلقت كلها نحو ذلك الكاهن المخيف ..

كان (أكرم) واثقًا من هذا ..

ولكن جسد الكاهن لم يهتز قيد أنملة ..

فقط أدار عينيه إلى (أكرم) ، وهى تحملان غضبًا رهيبًا ، ثم أمال العظمة التى يحملها نحوه فى بطء ..

وانعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، فى حين راح الدكتور (مينا) يصرخ ، وهو يحاول التملص من يد (أكرم) ، التى تحجب عنه الرؤية :

ـ ابتعد عنى .. أنا أستحق هذا .. أستحقه .

فى نفس اللحظة ارتفعت أصوات أبواق سيارات

الشرطة والإطفاء ، وهى تقترب فى سرعة ، فتوقف الكاهن ، وخفض العظمة التى يحملها فى بطء ، ثم رمق (أكرم) بنظرة مخيفة ، خُيِّل إليه أنه لن ينساها أبدًا ، قبل أن يدور على عقبيه ، ويغوص مرة أخرى فى ألسنة اللهب ، حتى تلاشى وسطها ، فى نفس اللحظة التى توقفت فيها سيارات الشرطة والإطفاء فى المكان ، واندفع رجال الإطفاء ، يحاولون السيطرة على النيران ، فى حين اندفع رجل الأمن ، الذى التقى بـ (مشيرة) نحو (أكرم) ، هاتفًا :

ـ أأنتما بخير ؟!

رفع (أكرم) عندئذ يده ، عن عينى الدكتور (مينا) ، وهو يغمغم ، فى توتر بلغ منتهاه :

ـ أعتقد هذا .

حدّق الدكتور (مينا) فيما أمامه ، وأدار عينيه حوله فى ارتياع ، قبل أن يهتف غير مصدّق :

ـ لقد ذهب .. لقد ذهب .. أنا حى .. أنا حى ، على الرغم مما فعلناه !

استدار إليه (أكرم) ، قائلاً فى صرامة :

ـ عظيم أنك ذكرت هذا ، فلدى أسئلة مهمة بهذا الشأن .

ثم انحنى نحوه ، مستطردًا فى صرامة أكثر :

ـ فما الذى فعلتموه بالضبط ، لتستحقوا هذا المصير ؟!

حدّق الدكتور (مينا) فى وجهه بضع لحظات ، فى ارتياع مذعور ، وهو ما زال جاثيًا على ركبتيه ، ثم انهار فجأة ، وانحنى يلصق جبهته بالأرض ، وهو يبكى فى مرارة وغزارة ..

وكان هذا وحده أشبه بالاعتراف ..

اعتراف بخطأ لا يعرفه أحد ..

ولكنه حتمًا خطأ رهيب ..

رهيب للغاية ..

* * *

لم تكد القاعة تظلم ، حتى بدت كل أجساد من فيها مجرد ظلال حمراء ، على شاشة سوداء ..

وفي بطء وتركيز ، غمغمت (سلوى) :

ـ جهاز الرصد الحرارى يعمل بكفاءة .. إنه يلتقط الانبعاث الحرارى ، من كل جسد حى .

أشارت (نشوى) إلى ركن الشاشة ، متسائلة فى حيرة :

ـ ما هذا إذن ؟!

انعقد حاجبا (سلوى) بشدة ، وهى تحدق فيما أشارت إليه (نشوى) ، قبل أن تغمغم :

ـ مستحيل !

فوفقًا لما سجله جهاز الرصد الحرارى ، كان ذلك الإصبع ، الموضوع داخل الصندوق الزجاجى ، يشع بحرارة مماثلة لحرارة الأجساد الحية ..

وكان هذا يعنى ـ علميًا ـ أنه حى أيضًا ..

وبكل انفعالها ، هتفت (سلوى) :

ـ هذا مستحيل بكل المقاييس !

ثم أدارت عينيها فى كافة أجزاء الشاشة ، قبل أن تستطرد فى عصبية :

ـ كل ما يسجله هذا الجهاز مستحيل ! تلك التماثيل الأثرية والتحف الفرعونية القديمة ، التى أحضروها من ذلك المعبد الغامض ، تبث قدرًا ضئيلاً من الحرارة ، وهذا مستحيل تمامًا .

قالت (نشوى) فى انفعال :

ـ هناك تفسير علمى لهذا حتمًا .

أجابتها (سلوى) فى سرعة :

ـ التفسير العلمى الوحيد هو أن ...

قبل أن تتمّ عبارتها ، تضاعف الانبعاث الحرارى ، الصادر عن تلك الجمجمة الغريبة بغتة ، وتصاعد فى سرعة ، حتى بلغ ما تبثه الأجساد الحية ، فهتفت (سلوى) مبهورة :

- مستحيل ! مستحيل !

قالت (نشوى) فى انفعال :

- هناك مصدر حرارى داخلها حتمًا .

مع عبارتها ، تصاعد الانبعاث الحرارى أكثر ، وبسرعة مذهلة ، حتى تحوّلت الجمجمة على الشاشة إلى كرة كبيرة متوهجة ، قبل أن يتفجّر الوهج بغتة ، ليشمل الشاشة كلها ، فتراجعت (سلوى) بحركة حادة ، هاتفة :

- مستحيل ! إننا لم نشعر بأى انبعاث حرارى زائد .

توقّفت الشاشة بغتة عن البث ، ثم عادت ترسم صورة باهتة للغاية ، لكلّ الأجساد الحية فى القاعة ، ولكن الحرارة الضئيلة ، المنبعثة من الآثار والتحف تلاشت مع ضعف الصورة ، فغمغمت (نشوى) فى توتر :

- إنها اللحظة التى غمرنا فيها ذلك الضوء الأحمر المخيف .

لم تعلّق (سلوى) على عبارتها ، وهى تتابع ذلك المشهد على الشاشة ، فى توتر كامل ..

فكل شىء فى المشهد كان يوحى بأن ذلك الكاهن المخيف قد ظهر وسط القاعة ..

الدكتور (فريد) كان يتراجع فى عنف ، والدكتور (منير) يرتعد بقوة ، وباقى الحاضرين يتحركون فى ذعر وعشوائية ..

وبخلاف هذا ، لم يكن هناك دليل واحد ، على وجود ذلك الكاهن ..

لم يكن جسده يبعث ، ولو ذرة واحدة من الحرارة ..

وسقط الدكتور (فريد) أيضًا ..

ووثب (نور) و(أكرم) نحو بقعة ، تبعد عنه مترًا واحدًا ..

وهنا تألّقت تلك الجمجمة مرة أخرى ..

وشمل الوهج الشاشة كلها ..

ثم توقَّف جهاز الرصد دفعة واحدة ..

ونهائيًا ..

ولثوان ، لم تنبس (سلوى) أو ابنتها بحرف واحد ..

ثم غمغمت (سلوى) فى توتر بالغ :

ـ لقد عادت الأضواء .

نطقتها ، وهى تنقل بصرها إلى شاشة الرصد العادية ، وتحدّق فى المشهد كله ..

فبكل ذرة من كيانها ، أصبحت واثقة من أن السر كله يكمن هناك ..

فى تلك الجمجمة ..

الجمجمة الرهيبة ..

* * *

« إنها ليست جمجمة قرد بالتأكيد .. »

غمغم الدكتور (عبادة) ، نقيب الأطباء البيطريين بالعبارة ، فى اهتمام بالغ ، وهو يقلب الجمجمة بين يديه ، قبل أن يضيف فى حزم وحسم :

ـ إنها ليست جمجمة أى حيوان معروف على الأرض .

تمتم الدكتور (حجازى) :

ـ هذا ما توقَّعته .

ثم سأل زميله فى اهتمام :

ـ كم يبلغ عمرها فى تقديرك ؟!

هزَّ الدكتور (عبادة) كتفيه ، قائلاً :

ـ الواقع أن كل معلوماتى تتعلَّق بمجال التشريح المقارن ، فى الطب البيطرى .

التقط الدكتور (حجازى) الجمجمة ، وهو يقول :

ـ أنا كذلك ، تقتصر معلوماتى على الجسد البشرى ، ولكن مادامت هذه الجمجمة تشبه جماجم الثدييات لدينا ، فربما تنطبق عليها القواعد نفسها .. دعنا ننظر إلى أماكن الالتئام فى أعلاها ، وشكل الأسنان أو ...

توقف بغتة ، وهو يحدق فى نقطة ما ، على قمة الجمجمة ، قبل أن يميل بها نحو زميله البيطرى ، متسائلاً :

ـ قل لى : أيبدو لك هذا ، مثلما يبدو لى ؟!

فحص الدكتور (عبادة) تلك النقطة ، قبل أن يقول فى دهشة :

ـ بالتأكيد .. لقد أجريت لصاحب هذه الجمجمة ، أيًا كان ، عملية تربنة ، باستخدام شعاع من الليزر .

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) ، وهو يغمغم ، وكأنما يحدث نفسه :

ـ عملية جراحية ، بشعاع من الليزر ، فى جمجمة أثرية ، داخل معبد فرعونى قديم ؟! كيف يمكن هذا ؟!

مط الدكتور (عبادة) شفتيه ، وهو يقول فى حذر :

ـ هذا يوحى بأن هذه الجمجمة حديثة .. من زمن استخدام الليزر الجراحى على الأقل ، وهذا يعود إلى مايقل عن نصف القرن ، وعلى الرغم من هذا ، فشكل عظامها يوحى بأن عمرها يتجاوز عدة قرون .

قلب الدكتور (حجازى) الجمجمة بين يديه مرة أخرى ، وقال :

ـ هذا صحيح .

عاد يفحص الجمجمة باهتمام أكثر ، ثم أخرج منظاره المكبّر ، وأمالها ليفحص تجويف العينين ، متابعًا :

ـ أطراف العظيمات الداخلية أيضًا متآكلة ، على نحو يوحى بقدم عمرها .

سأله الدكتور (عبادة) فى قلق :

ـ من أين أتيتم بهذه الجمجمة ؟!

أدار الدكتور (حجازى) منظاره ، ليفحص الأسنان ، وتجويف الفك ، وهو يكمل ، وكأنه لم يسمع ماقاله زميله :

ـ هناك مفاجأة أخرى .

هتف به الدكتور (عبادة) فى لهفة :

- ما هى ؟!

رفع الدكتور (حجازى) عينيه إليه ، قائلاً فى انفعال :

إحدى الأسنان هنا صناعية .

هتف الدكتور (عبادة) ، وهو يميل لرؤية ما تحدث عنه الدكتور (حجازى) :

- حقًا ؟!

حدّق كلاهما ، عبر المنظار المكبّر ، فى سن صناعية ، يمكن تمييزها بصعوبة ، وسط ما تبقى من أسنان الجمجمة ، ومدّ الدكتور (عبادة) يده يلمسها ، قائلاً فى شغف فضول :

- من أية مادة صنعت ؟! إنها تبدو ..

بتر عبارته بغتة ، عندما لمس السن الصناعية ، وانتفض جسده فى عنف ، وهو يرتدّ بحركة حادة ، كمن أصابه تيار كهربى ، فهتف به الدكتور (حجازى) :

- ماذا أصابك ؟!

أشار الدكتور (عبادة) فى رعب إلى الجمجمة ، هاتفًا :

- لقد .. لقد صعقتنى ، يبدو أنها ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق أزيز مباغت من الجمجمة ، فانتفض جسد الدكتور (حجازى) ، وهو يقول فى عصبية :

- ما هذا ؟!

فى منتصف كلمة تقريبًا ، سطع وهج مباشر من الجمجمة ، أشبه بمصابيح التصوير ، فأغلق الرجلان عيونهما انبهارًا ، ثم عادا يفتحانها فى بطء ، قبل أن تتسع عيونهما عن آخرها ، فى ذهول مذعور ..

فما يحيط بهما ، لم يعد تلك القاعة الجديدة ، فى متحف الآثار الحديث ..

لقد صار معبدًا ..

ذلك المعبد الفرعونى القديم ، المزدان بالنقوش الهيروغليفية ، والرسوم التوضيحية ..

وفى منتصفه تمامًا ، كان هناك وعاء من النحاس ، أضرمت فيه النيران ، وتأجّجت ، لتضىء ، المكان كلـه ، وتتراقص على جسد كاهن يوليهما ظهره ..

ومع أنفاسهما المحبوسة ، استدار إليهما ذلك الكـاهن فى بطء ، ثم رمقهما بنظرات رهيبة مخيفة ..

مخيفة إلى أقصى حد ..

نظرات يطلّ منها عدو لاينهزم قط ..

الموت ..

وبلا رحمة .

* * *



٤ـ الرعـب ..

طرق (نور) باب منزل الدكتورة (عبلة) فى قوة، وهو يقول فى صرامة :

ـ دكتـورة (عبلة) .. نحن نعلم أنك هنا .. افتحى الباب فورًا .

جاوبه صمت مطبق ، وكأن المنزل خال بالفعل ، ولكن (رمزى) غمغم فى ثقة :

ـ إنها بالداخل .

عاود (نور) طرق الباب ، هاتفًا :

ـ سيّدتى .. الأمر يتجاوز حدود هذا العبث .. افتحـى الباب ، وإلا استصدرت أمرًا باقتحام منزلك .

أشار إليه (رمزى) ، وهو يغمغم :

ـ أعتقد أننى أستطيع لعب هذا الدور بأسلوب أفضل .

تراجع (نور) ، وأشار إلى الباب ، قائلاً :

ـ على الرحب والسعة .

تقدَّم (رمزى) ، وطرق الباب فى هدوء ، وهو يقول :

ـ دكتورة (علية) .. نحن نعرف مايخيفك بالضبط ، وماتحاولين الفرار والاحتماء منه .. ولكنك تعرفين مثلنا أن الأبواب والجدران لن تمنعه عنك .. صدقينى ياسيِّدتى .. نحن هنا لحمايتك .

مضت لحظات من الصمت ، خُيِّل لـ (نور) خلالها أن خبيرة التاريخ الطبيعى ستواصل إصرارها وعنادها ، إلا أنه فوجئ بها تقول ، عبر جهاز الاتصال المنزلى :

ـ لا أحد يمكنه حمايتى .

كتم (نور) انفعاله فى صعوبة ، فى حين قال (رمزى) بنفس الهدوء :

ـ ربما ، ولكن هذا السجن الانفرادى الاختيارى أيضًا لن يمكنه هذا .. وجودك وسط فريق مهتم بأمرك ، ربما يكون الأمل الوحيد فى النجاة .

بدا صوتها باكيًا منهارًا ، وهى تهتف :

ـ مستحيل ! سينتقمون منا حتمًا ؛ فما فعلناه كان فظيعًا .. فظيعًا بحق .

انعقد حاجبا (نور) ، عند هذه العبارة ، وتقدَّم يدق الباب ، قائلاً فى توتر شديد :

ـ افتحى الباب ياسيِّدتى .. افتحى وأخبرينا ما الذى فعلتموه بالضبط ، ليحدث كل هذا .

صرخت المرأة من الداخل :

ـ لا .. لا أريد رؤية أحد .. ابتعدوا .. ابتعدوا وإلا قتلت نفسى .

التفت (نور) إلى (رمزى) ، يسأله :

ـ هل يمكن أن تقتل نفسها بحق ؟!

هزَّ (رمزى) كتفيه ، مجيبًا :

ـ لم أدرس ملفها النفسى ، حتى يمكننى الجزم بهذا أو نفيه ، ولكن هذا محتمل ، فى ظروفها هذه .

سأله (نور) بلهجة حازمة :

ـ كم فى المائة ؟!

هزّ (رمزى) كتفيه مرة أخرى ، مجيبًا :

ـ خمسون فى المائة .

وهنا ، انتزع (نور) مسدسه الليزرى من حزامه ، قائلاً فى صرامة :

ـ فليكن .. سأتحمل مسئولية المخاطرة .

تراجع (رمزى) ، مغمغمًا :

ـ هذا شأنك .

صوّب (نور) مسدسه الليزرى إلى رتاج الباب الإليكترونى ، و...

وفجأة ، انطلقت تلك الصرخة الرهيبة ..

صرخة رعب هائلة ، أطلقتها الدكتورة (عبلة) ، من داخل منزلها ، ورددتها جدرانه ، ونقلها جهاز الاتصال المنزلى :

ـ لا .. لا .. ليس أنا .

وقبل حتى أن تكتمل صرخة ، أطلق (نور) أشعة مسدسه الليزرى ، لينسف ذلك الرتاج الإليكترونى ، فانطلقت صفارات الإنذار من كل مكان بالمنزل ، ولكن (نور) تجاهلها ، وهو يدفع الباب بقدمه ، ويندفع إلى المكان ، وخلفه (رمزى) ، الذى يهتف فى ارتياع :

ـ رباه ! لاتجعله يظفر بها ..

انطلقت صرخة أخرى ، امتزج خلالها الرعب بالألم ، وأعقبتها شهقة مخيفة ،ثم صوت ارتطام جسم بالأرض ، فصاح (نور) ، وهو يقتحم حجرة المعيشة :

ـ يا إلهى ! هل ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، وهو يقتحم الحجرة ، ثم يتوقّف بحركة حادة ، محدقًا فى ذلك المشهد الرهيب داخلها ..

فهناك .. فى منتصف الحجرة تمامًا ، كانت الدكتورة (عبلة) ملقاة أرضًا ، فى معطف منزلى ، وشعر منفوش ، ووجه خلا من الحياة ، واكتسب كل ما تحويه الكتب من سمات الرعب والفزع ..

وعلى مسافة متر واحد منها ، كان يقف ذلك الكاهن ، وفى يده جمجمة ..

نفس الجمجمة ، التى رآها (نور) هناك ..

فى القاعة الجديدة ..

ومع اقتحام (نور) للحجرة ، استدار إليه الكاهن فى بطء ، وتوهّجت عيناه على نحو مخيف ..

مخيف للغاية ..

وفى هدوء ، وكأنما لايعنيه وجود (نور) ، أو (رمزى) الذى لحق به ، ووقف ذاهلاً مذعورًا بدوره ، استدار الكاهن الرهيب ، واتجه نحو الجدار مباشرة ..

وبكل صرامته وتوتره ، رفع (نور) مسدسه نحو الكاهن ، صائحًا :

ـ قف .. قف وإلا أطلقت النار .

استدار الكاهن إليه ، بنفس البطء العجيب ، وبدا وكأن عينيه قد اشتعلتا بنيران غضب هائل ، فتراجع (نور) بحركة غريزية ، صائحًا :



وعلى مسافة متر واحد منها ، كان يقف ذلك الكاهن ، وفى يده جمجمة ..

ـ أنا جاد فيما أقول .. لو تحرّ ..

قبـل أن تكتمـل صيحته ، اختفى الكاهن من مكانه بغتةً ، ثم ظهر على مسافة نصف المتر من (نـور) ، وكأنما اخترق حاجز الزمن ، فى جزء من ألف جـزء من الثانية ..

وبحركة سريعة كالبرق ، رفع كفه اليسرى ، ولطم بها (نور) فى فكه ..

وعلى الرغم من أن اللطمة قد بدت هادئة بسيطة ، بالنسبة لـ (رمزى) ، إلا أنها انتزعت (نور) من مكانه فى عنف ، وألقته مترين إلى الخلف ، ليرتطم بالجدار فى قـوة ، ثم يسقط أرضًا ، وينفلت مسدسه الليزرى من يده ، ليطير إلى ركن الحجرة ..

وفى جزء آخر من الثانيـة ، كان الكاهن قد عاد إلى موضعه الأوّل ، وكأنما لم يتحرك من مكانه قيد أنملة ..

وفى هدوء شديد ، وأمام عينى (رمزى) ، اللتين اتسعتا عن آخرهما ، فى رعب ذاهل ، استدار الكاهن ،

وواصل طريقه نحو الجدار ، و ...

واخترقه ..

نعم .. اخترقه كما لو أنه مجرّد طيف بلاجسد ..

وفى اللحظة نفسها ، نهض (نـور) ، وهو يسعل بشدة ، وهتف فى توتر :

ـ أين .. أين ذهب ؟!

التفت إليـه (رمـزى) ، بنفس العينين الذاهلتين المذعورتين ، وحدّق فيه لحظة ، قبل أن يقول :

ـ لقد .. لقد ظفر بها .

لم تكن هنـاك علاقة مباشرة بين السؤال والجواب ، ولكن كلا منهما ألقى مابداخله فحسب ، قبل أن يشملهما معًا صمت رهيب ، لم يخترقه سوى دوى أبواق سيارات الشرطة والإسعاف ، التى تأتى من بعيد ، معلنة أن كاهن (الفودو) الفرعونى قد ربح جولة جديدة ..

وبكل جدارة ..

* * *

« دكتور (حجازى) .. استيقظ .. استيقظ يا دكتور (حجازى) .. »

تسلل الصوت إلى أذنى الدكتور (حجازى) ، فانتزعه من بئر سحيقة مظلمة ، وجعل جسده كله ينتفض ، وهو يهبّ جالسًا ، ويصرخ :

ـ لا .. لا .. ليس أنا .

ثم حدّق فى وجه قائد أمن المتحف ، الذى سأله فى دهشة قلقة :

ـ ليس أنت ماذا ياسيّدى ؟!

واصل الدكتور (حجازى) تحديقه فى وجه قائد أمن المتحف لحظة ، قبل أن يتلفت حوله فى ذعر ، هاتفًا :

ـ أين نحن ؟! هل .. هل عدنا ؟!

سأله الرجل فى حيرة شديدة :

ـ عدنا من أين يا دكتور (حجازى) ؟! لقد كنتما تفحصان الجمجمة الإفريقية ، فى حجرة الفحص .. أنت والدكتور (عبادة) ، ثم سمعنا صوتًا أشبه بانفجار مكتوم ، فهرعنا إلى هنا ، ووجدناكما فاقدى الوعى .. ما الذى حدث ياسيّدى .. أخبرنا بالله عليك .

حدّق الدكتور (حجازى) فى زميله (عبادة) ، الذى انهمك رجل آخر ، من طاقم أمن المتحف فى إفاقته ، ثم هتف :

ـ أين هى ؟! أين الجمجمة ؟!

تلفّت رئيس الأمن حوله بدوره ، وكأنما باغته السؤال ، وهتف فى ذعر شديد :

ـ رباه ! أين هى ؟!

نهض الدكتور (حجازى) فى توتر وتهالك ، وهو يهتف :

ـ هل .. هل غادر أحدكم الحجرة ؟!

هزّ رئيس الأمن رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ كلا يا سيدى .. الجمجمة لم تكن هنا عندما أتينا .. وجودكما فى هذه الحالة جعلنا لا ننتبه إلى غيابها فى البداية .. رباه ! إنها مسئولية هائلة .. كيف سنشرح ما حدث للمسئولين ؟!

تلفت الدكتور (حجازى) حوله مرة أخرى ، بوجه شاحب ممتقع ، وذهنه يستعيد ما حدث ..

ذلك الكاهن الرهيب تطلع إليهما بنظراته القاسية المخيفة .. ثم تقدم نحوهما ..

وبكل رعب الدنيا ، هتف الدكتور (عبادة) :

ـ ما .. ماذا تريد منا ؟!

واصل الكاهن تقدمه نحوهما ، وكأنه لم يسمعه ، فصاح بذعر أكبر :

ـ ماذا سيفعل بنا ؟! ماذا سيفعل بنا ؟!

توقف الكاهن ، على مسافة متر واحد منهما ، وبدت لهما عيناه أشبه بقطعة من الجحيم ، وهو يمد يديه فى

بطء ، ويلتقط الجمجمة من بين يدى الدكتور (حجازى) ، الذى خيل إليه أن جسده كله قد تجمد .. حتى قلبه ..

وعندما استعاد الكاهن جمجمته ، تألقت عيناه ببريق عجيب ، وهو يتطلع إليها بشغف وارتياح ، قبل أن يدير وجهها نحوهما ، وينطلق ذلك الوهج ، و ...

« أين أنا ؟! »

هتف الدكتور (عبادة) بالسؤال فى ارتياع ، فور استعادته وعيه ، وهو يهب جالسًا ، فالتفت إليه الدكتور (حجازى) قائلاً فى توتر :

ـ نحن هنا يا دكتور (عبادة) .. لقد عدنا .

حدق فيه البيطرى برعب ، ثم تلفت حوله مذعورًا ، وهو يهتف :

ـ هل .. هل ذهب ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه ، مغمغمًا :

ـ نعم .

حنق الرجل فيه لحظة أخرى ، ثم انفجر باكيًا ، مفرغًا كل انفعالاته ، فربت الدكتور (حجازى) على كتفه ، متمتمًا فى أسى :

- ابك يا رجل .. افرغ كل ما بداخلك .. هذا أمر طبيعى ؛ لأنك لم تواجه أمرًا خارقًا كهذا من قبل .

هتف به الرجل فى انهيار :

- وهل واجهت أنت مثله ؟!

زفر الدكتور (حجازى) ، مغمغمًا :

- عدة مرات .

اتسعت عينا الدكتور (عبادة) فى رعب ، وهو يحدق فى وجهه ، فعاد الدكتور (حجازى) يربت على كتفه ، قائلاً :

- هيا .. اهدأ ، فهناك من يهمه أن يسمع ما لديك .

وتنهد فى توتر ، قبل أن يضيف :

- وبشدة .

نطقها ، وهو واثق من أن هذه القضية ستكون أخطر القضايا ، التى تولاها فريق (نور) ..

أخطرها على الإطلاق ..

* * *

« من (نسر ـ ١٧) إلى القاعدة .. الهدف يقترب .. دقيقة واحدة ، ونصل إلى مجاله الجوى .. »

أطلقت الطائرة المصرية ذلك النداء ، وهى تحلق فى سماء (إفريقيا) ، فى طريقها إلى تلك المنطقة ، التى تخفيها أحراش كثيفة ، فى قلب القارة السوداء ، فأجابتها القاعدة ، عبر أقمار الاتصال الصناعية :

- لا تتجه نحو الهدف مباشرة يا (نسر ـ ١٧) .. در حوله أولاً ، واترك أجهزتك ترصد الموقف أولاً .

قال قائد الطائرة المصرية فى آلية :

- عُلِمَ وينفذ .

دار بالطائرة ، التى تحوى عددًا من أحدث أجهزة الرصد الإليكترونية ، حول الهدف ، وضغط أزرار تشغيل الأجهزة ، فراحت تعمل كلها فى آن واحد ، وهو يبث رسالته للقاعدة ، قائلاً :

ـ الأجهزة بدأت عملها ، وننتظر الآن بدخول المجال الجوى للهدف .

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن يأتيه صوت مسئول القاعدة ، يقول فى توتر ملحوظ :

ـ الأجهزة كلها ترسل إشارات سلبية ، كما لو أنه هناك مايمنعها من الرصد .. حاول الاقتراب من الهدف أكثر .

أجابه قائد الطائرة ، وهو يقترب من الهدف أكثر :

ـ نحن ندخل المجال الجوى للهدف .

قال مسئول القاعدة ، فى توتر أكثر :

ـ اقترب بحذر يا (نسر ـ ١٧) .

أجابه قائد الطائرة :

ـ عُلِمَ و ...

فجأه ، انقطع الاتصال ، وتوقَّف بث أجهزة الرصد كلها دفعة واحدة ..

بل وتوقَّفت أجهزة الطائرة أيضًا عن العمل ..

وراحت تهوى ..

وتهوى ..

وتهوى ..

وبسرعة ، وكما تدرَّب كثيرًا وطويلاً ، جذب قائد الطائرة ذراعًا معدنية ، تمت إضافتها خصيصًا إلى طائرته ، لينتقل أسلوب القيادة إلى محرك يدوى محدود ، اشتغل على الفور ، فدفع الطيَّار طائرته خارج المجال الجوى للهدف ، ولم يكد يفعل حتى عادت كل أجهزة طائرته للعمل ، واستعاد نظام الاتصال ، فهتف فى عصبية :

ـ حدث ما يحدث فى كل مرة ..

« هذا ما رصدته أقمارنا ، فى محاولتنا الأخيرة أيضًا .. »

نطق الدكتور (جلال) العبارة ، وهو يشير إلى شاشة كبيرة ، فى حجرة القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، الذى تراجع فى مقعده ، وداعب ذقنه فى توتر ، قائلاً :

ـ عجبًا ! كيف لم نكشف أمر هذه البقعة المظلمة إلا مؤخرًا ؟! كيف لم نرصدها بشكل كامل فيما قبل؟!

أطفأ الدكتور (جلال) شاشة العرض ، وهو يقول :

ـ مراجعتى للخرائط القديمة تشير إلى أنها موجودة منذ بدأنا عملية المسح بالأقمار الصناعية ، منذ أكثر من نصف قرن ، ولكنها غارقة فى قلب الكثافة الأحراشية الإفريقية ، فى منطقة غير مأهولة بالسكان ، منذ قرون طويلة ، ثم إن مساحتها الصغيرة المحدودة ، جعلت أحدًا لايلتفت إليها باهتمام ،حتى كانت تلك البعثة الاستكشافية .

هزَّ القائد الأعلى رأسه ثانية ، وهو يتمتم مكررًا :

ـ عجبًا !

وراجع المعلومات مرة أخرى فى رأسه ، قبل أن يتابع فى حيرة :

ـ ترى ماذا يوجد فى تلك البقعة الصغيرة بالضبط؟! أقمارنا الصناعية لاترصدها ، وينبعث منها فى بعض الأحيان نشاط إشعاعى وحرارى كبير ، ثم لايلبث أن يخبو ، ويتلاشى تمامًا لوقت طويل ، وكل ما يدخل فى مجالها من أجهزة إليكترونية يتوقف عن العمل ، وعلى الرغم من هذا ، فلا يمكننا أن نرصد فيها أية موجات فائقة الصغر ، أو كهرومغنطيسية .. كيف يمكن تفسير هذا اللغز بالله عليك ؟!

مطَّ الدكتور (جلال) شفتيه ، قائلاً :

ـ علماؤنا عاكفون على دراسة كل التفاصيل والمعطيات ، فى محاولة لإيجاد تفسير علمى مقنع ، ولكن خبراءنا يؤكدون أن الأمر يحتاج إلى بعثة استكشافية أخرى ، أو ...

بتر عبارته بتردُّد قصير ، قبل أن يتابع :

- أو حملة عسكرية .

تنهَّد القائد الأعلى فى توتر ، ولوَّح بيده ، قائلاً :

- انس أمر الحملة العسكرية تمامًا ؛ فالدولة التى تقع تلك البقعة داخل حدودها ، ترفض بشدة وجود أى جندى أجنبى على أرضها ، ثم إن عقائدهم هناك تمنعهم من الاقتراب من تلك المنطقة ، التى يطلقون عليها اسم (العالم المحظور) مما يجعل الأمر غاية فى الصعوبة .

قال الدكتور (جلال) :

- ولكنهم وافقوا على حملة استكشافية علمية .

لوَّح القائد الأعلى بيده مرة أخرى ، قائلا :

- هذا أمر يختلف .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يقول بلهجة خاصة :

- فلنرسل حملة علمية استكشافية أخرى إذن .

أدرك القائد الأعلى ما يرمى إليه الدكتور (جلال) ، فتراجع فى مقعده ، وتطلَّع إليه لحظة ، قبل أن يغمغم :

- نعم .. ولِمَ لا ؟!

بدت عليه علامات التفكير بضع لحظات ، قبل أن يكرِّر :

- ولِمَ لا ؟!

وفى تلافيف مخه ، بدأ يدرس الفكرة فى عمق ..

فكرة إرسال حملة علمية استكشافية زائفة ، إلى تلك المدينة المفقودة ، فى قلب (إفريقيا) ..

المدينة التى تضم ذلك المعبد المزدوج المخيف ..

المعبد الفرعونى ، الذى يديره كهنة أبشع سحر أسود عرفه التاريخ ..

(الفودو) ..

* * *

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يستمع إلى مايرويه الدكتور (حجازى) والدكتور (عبادة) ، حتى انتهيا من روايتهما ، فتطلع إليهما فى صمت متوتر ، فى حين غمغم (رمزى) مبهورًا :

ـ يالها من تجربة رهيبة !

زفرت (سلوى) فى عصبية ، قائلة :

ـ كان من المحتم أن يستعيدوا تلك الجمجمة ، بعدما كشفناه من أمرها .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ السؤال هو : من هم ؟! وكيف فعلوا هذا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة :

ـ كهنة (الفودو) .. مغخرة .. أقصد سحرة (الفودو) ..

هتف (أكرم) بحدة أكثر :

ـ مازال النصف الثانى من السؤال ساريًا .. كيف ؟!

قالت (نشوى) فى سرعة :

ـ ماكشفناه يوحى بأن كل هذا مجرد خداع هولوجرافى .

أشار (نور) إلى نقنه ، وهو يقول :

ـ الخداع الهولوجرافى لايلطم بهذه القوة .

قالت فى اصرار :

ـ وأى مخلوق حى ، يصدر ولو قدرًا ضئيلاً من الانبعاث الحرارى .

التقط الدكتور (حجازى) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول فى توتر شديد :

ـ هذا لو أنه مخلوق حى .

استدار إليه الكل فى دهشة ، وسأله (رمزى) فى حيرة :

ـ ما الذى تعنيه بهذا ؟!

لوّح بيده ، مجيبًا فى عصبية :

ـ أعنى أنه من الممكن أن يكون مجرد (زومبى) مثلاً .

حدّقوا في وجهه بدهشة عارمة ، قبل أن تهتف (سلوى) مستنكرة :

- (زومبى) ؟! وما هذا الـ (زومبى) ؟!

ازدرد الطبيب الشرعى لعابه فى صعوبة ، وقال فى توتر :

- الـ (زومبى) هم الموتى الأحياء ، كما تقول عنهم عقيدة سحرة (الفودو) ، وهم عبارة عن أجساد ماتت فعليًا ، وغادرتها أرواحها ، ولكنها تتحرك بقوة عقول السحرة ، كما لو كانت مجرد دمى آلية ، و...

قاطعه الدكتور (عبادة) ، وهو يهتف فى عصبية شديدة :

- هراء .. أسخف ماسمعته في حياتى كلها .. الموتى لايعودون إلى الحياة أبدًا .. الله (سبحانه وتعالى) وحده يعيد الروح إلى جسدها وقتما يشاء .

تنهد الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

- بالضبط ، وأنا لم أشر مطلقًا إلى أن سحرة (الفودو) يعيدون الروح إلى الجسد ، ولكن الأمر لايعدو عملية تحريك الأشياء عن بعد ، أو ما يطلقون عليه ، فى علوم ما فوق الطبيعيات اسم (سيكوكينيزس) ، وهو نفس ما يمكن أن يفعله شخص يمتلك هذه الموهبة ، عندما يحرك كوبًا من موضعه ، أو ينقل مطرقة ، من مكان إلى آخر ، بقواه العقلية وحدها .. وبالنسبة لسحرة (الفودو) ، فالجسد الميت يصبح مجرد جماد بلا روح ، يمكنهم تحريكه بقواهم العقلية وحدها ، وهذا ما تقوله عقيدتهم ، وما رصده بعض الدارسين والباحثين بالفعل(*)

هز الدكتور (عبادة) رأسه فى شدة ، هاتفًا :

- لن أصدق هذا قط ، حتى لو رأيته بأم رأسى .

مط الدكتور (حجازى) شفتيه ، وهو يقول :

- لست وحدك ؛ فمعظم الناس لايمكنهم إدراك ماتراه عيونهم بالفعل ، فكيف بما يفوق إدراكهم العقلى كله .

(*) حقيقة ..

تراجع (نور) فى مقعده، وهو يقول :

ـ تلك النظرة المخيفة، التى رأيناها جميعًا، فى عينى ذلك الكاهن الرهيب، لايمكن أن تنبعث من عينى جثة يا دكتور (حجازى)، وأنت أكثر من يدرك هذا .

قلب الطبيب الشرعى كفيه، وهو يقول :

ـ كنت أحاول إيجاد تفسير لعدم انبعاث أية حرارة من جسده .

أشار (نور) بيده، قائلاً :

ـ دعنا من التفسير الآن، حتى تكتمل المعطيات على الأقل .

ثم استدار إلى الدكتور (مينا)، الذى يجلس صامتًا شاحبًا، وأكمل فى صرامة :

ـ وأظن أن لديك جزءًا كبيرًا منها يادكتور (مينا) .

ارتجفت شفتا الجيولوجى، وهو يغمغم :

بالتأكيد .

قال (نور) فى حزم :

ـ أخبرنا إذن ماالذى فعلتموه هناك، فى ذلك المعبد، الغارق فى قلب أحراش (إفريقيا) ؟! أى ذنب اقترفتموه هناك، حتى تستحقوا كل هذا، كما قالت الدكتورة (عبلة) قبل مصرعها، وكما قلت أنت، عندما اشتعل منزلك ؟!

ارتجفت شفتا الدكتور (مينا)، واغرورقت عيناه بالدموع، وهو يخفض وجهه، قائلاً فى مرارة :

ـ لقد ارتكبنا جريمة .. جريمة لاتغتفر .

سألته (سلوى) فى لهفة متوترة :

ـ وما هى ؟!

بكى، وهو يقول :

ـ سأخبركم .. سأخبركم بكل شىء .

ثم راح يروى ماحدث ..

وكان مايرويه رهيبًا ..

رهيبًا للغاية .

* * *

٥ـ الجريمة ..

لدقيقة كاملة ، راح جسد الدكتور (مينا) يرتجف فى قوة ، ودموعه تغرق عينيه ، ولسانه عاجز عن النطق بحرف واحد ، وعلى الرغم من هذا ، لم يحاول أحد الحاضرين حثه على الكلام ، وهم يتطلعون إليه فى صمت مشفق ، حتى مسح دموعه ، وراح ينتحب لنصف دقيقة أخرى ، قبل أن يلتقط نفسًا عميقًا ، ثم يقول فى مرارة ، وعيناه معلقتان بأرضية الحجرة :

ـ فى البداية كنا نتصوَّر أننا سنعثر على المدينة المفقودة الأسطورية ، التى تتحدَّث عنها كل الشعوب الإفريقية تقريبًا ، بناءً على بعض المعلومات ، التى استقاها الدكتور (فريد) من مخطوطات قديمة ، وحكايات تناقلتها الأجيال ، فى (إفريقيا) الوسطى ، وأسطورة قديمة ، سمعها فى (مدغشقر) .. المهم أننا وصلنا إلى ذلك البلد الإفريقى ، والتقينا هناك بعدد من العلماء

والسياسيين ، الذين قصوا علينا حكايات عجيبة ومخيفة ، عن مصير كل من حاول العثور على المدينة المفقودة ، وحاولوا جاهدين إثناءنا عن مهمتنا ، مؤكدين أن أحدًا لن يقبل معاونتنا ، مهما أغريناه بالمال أو الوعود البرَّاقة ، ولكننا كنا شديدى الإصرار واللهفة ، على وضع أسمائنا فى سجل تاريخ العلم ، باعتبارنا أوَّل من يكشف أمر المدينة الأسطورية المفقودة ، ثم إننا كنا قد اصطحبنا معنا طيارًا محترفًا ، وفريقًا من المعاونين من (مصر) .

عادت شفتاه ترتجفان ، عندما بلغ هذه النقطة من روايته ، وكأنما استعاد ذكرى بغيضة إلى نفسه ، فهزَّ رأسه فى قوة ، لينفض عنه ذلك الشعور بالاختناق ، قبل أن يتابع فى مرارة أكثر :

ـ لم تكن الرحلة هينة أبدًا ، فالهليكوبتر ، التى جئنا بها من (مصر) ، حملتنا إلى بداية الأحراش الكثيفة ، وطلبنا من الطيار أن يعود إلى البقعة نفسها ، بعد ثلاثة أيام ، أو إذا ما استدعيناه لاسلكيًا ، وأكملنا نحن الثلاثة الرحلة على أقدامنا ، بصحبة فريق المعاونين ..

اتسعت عيناه ، وبدا وكأنه يحدق فى صورة مرعبة ، رسمتها ذاكرته فى فراغ الحجرة ، وهو يكمل :

ـ كانت رحلة رهيبة ، شاهدنا خلالها أهوالاً لم تخطر ببالنا قط .. بل ولم نتصورْ رؤيتها ، حتى فى أحلك كوابيسنا وأبشعها .

سألته (سلوى) فى لهفة :

ـ مثل ماذا ؟!

لم يبد حتى أنه قد سمعها ، وهو يشير بيده فى الهواء ، مستطردًا فى انفعال عجيب :

ـ معاونونا انهاروا .. أعصابهم تحطمت ، من هول ما مرَّ بنا .. كانوا تسعة رجال ، لم يتبق منهم سوى أربعة ، عندما عبرنا شلال النار .

غمغمت (نشوى) فى توتر شديد :

ـ شلال النار ؟! ما الذى يعنيه هذا ؟!

مرة أخرى ، بدا الرجل وكأنما فقد حاسة السمع ،

أو كأنه غاص فى ذكرياته حتى النخاع ، فلم يعد يشعر بما حوله وبمن حوله ، وهو يقول فى انفعال :

ـ ثم فجأة ، وجدناه أمامنا .

غمغم (نور) :

ـ ذلك المعبد ؟!

تابع الدكتور (مينا) كالمأخوذ :

ـ كانت مفاجأة ما بعدها مفاجأة ، حتى إننا لم نصدق أعيننا فى البداية ، وتصورْنا أن ما نراه أمامنا مجردُ وهم ، أو خداع بصرى سخيف .. لقد كان أمامنا معبد فرعونى كامل ، يختفى وسط أحراش بالغة الكثافة .. معبد ضخم ، له جدران عالية ، مزدانة بنقوش فرعونية ، و...

ازدرد لعابه بصوت مسموع ، وراح العرق يتصبب على وجهه فى غزارة ، واتسعت عيناه فى رعب عجيب ، فقال الدكتور (حجازى) ، يستحثه على المواصلة :

ـ وماذا يا دكتور (مينا) ؟! وماذا ؟!

استدار الرجل إليه، وكأنما استعاد حاسة السمع بغتة، وحدّق فى وجهه بضع لحظات فى ارتياع عجيب، قبل أن يجيب، بصوت ارتجف كل حرف منه رعبًا :

ـ وشيطانية !

انعقد حاجبا (نور) بشدة، عند سماعه اللفظ، وتطلّعت إليه زوجته (سلوى) برعب، أدرك معه أن عقلها قد استعاد نفس ما جال بخاطره، فربّت على كتفها، محاولاً بث الطمأنينة فى نفسها، فى نفس الوقت الذى سأل فيه (رمزى) الدكتور (مينا) فى اهتمام متوتر :

ـ ماذا تعنى بنقوش شيطانية بالله عليك ؟!

شرد الدكتور (مينا) ببصره، وراح يلوّح بكفيه فى الهواء، وكأنما يحاول وصف شىء تحمله ذاكرته، ثم لم يلبث أن خفض كفيه وعينيه فى يأس وعجز مريرين، وهو يقول :

ـ لقد التقطنا صورًا لكل شىء .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وأين تلك الصور ؟!

لوّح بيده فى مرارة، مجيبًا :

ـ كانت فى منزلى، مع الوثائق الأخرى .

عضّ (نور) شفتيه فى مرارة وغضب، مغمغمًا :

ـ أمر طبيعى .

هزّ الدكتور (مينا) رأسه، وكأنما يؤلمه ما حدث، ثم أطلق زفرة حارة عميقة، وتابع فى توتر :

ـ لقد شعرنا بالذعر والحيرة، وفرّ اثنان من معاونينا بالفعل، قبل أن يلقى ذلك الكاهن القبض علينا، ويأسرنا جميعًا فى معبده .

سألته (سلوى) :

ـ أهو كاهن واحد ؟!

بدت عليه حيرة مذعورة، وهو يجيب :

ـ إنه يبدو كاهنًا واحدًا، ولكنه يظهر فى كل مكان .. كاهن واحد له ألف جسد .

كانت عبارته محيِّرة مدهشة، ولكن أحدًا لم يسأله عما تعنيه، فتابع بكل توتره :

ـ لم يكن وجودنا يخيفه أو يقلقه، لذا فقد أطلق سراحنا، وتركنا نتابع ما يفعله، ونسجل عاداته العجيبة، وذلك المزيج المدهش، الذى يحكم به عالمه .. مزيج من الديانة الفرعونية، وعقائد (الفودو) الأصلية .

سأله (نور) فى اهتمام شديد :

ـ ماذا تعنى بعالمه ؟!

توقَّف الرجل لحظة، ثم أجاب بصوت مرتجف :

ـ كان هناك مئات .. بل آلاف من البشر .. كلهم من زنوج القبائل الإفريقية .. كانوا يظهرون عندما يستدعيهم، ثم لانرى لهم أثرًا بخلاف هذا .. وكلهم كانوا يخشونه خشية الموت، وينحنون أمامه كما لو كان إلهًا .

سأله (رمزى) فى لهفة :

ـ وكيف يتعامل هو معهم ؟!

اتسعت عيناه فى ارتياع، وهو يقول :

ـ بمنتهى القسوة والصرامة .. لقد شاهدناه يعاقب أحدهم، على ذنب لم ندر كنهه، بصب معدن مصهور فى حلقه .

انتفض جسد (نشوى) فى عنف، وهى تحدِّق فيه برعب، فى حين هتفت (سلوى)، وهى تلتصق بـ (نور) :

ـ ياللبشاعة !

لوَّح الدكتور (منير) بكفه، وهو يتابع :

ـ كان يتركنا نفعل كل ما يحلو لنا، ونسجِّل كل ما نراه، ويتابع عملنا بنظرة عجيبة، كانت تبعث فى نفوسنا رهبة وخوفًا مبهمين .. وخلال اليومين اللذين قضيناهما هناك، رأيناه يقوم بأمور مذهلة .. أمور لا يمكن تفسيرها علميًا أو تكنولوجيًا .. أمور تنتمى إلى السحر الأسود .. (الفودو) .

غمغم (نور) فى صرامة :

- هذا إقرار سابق لأوانه .

مطَّ الدكتور (منير) شفتيه ، وهزَّ رأسه ، قائلاً :

- من يسمع ليس كمن يرى .

عقد (نور) حاجبيه ، وقال فى صرامة أكثر :

- فليكن .. دعنى أسألك إذن ، أين الجريمة فى كل هذا ؟! أين ذلك الذنب الذى اقترفتموه ، والذى يستحق المطاردة والانتقام على هذا النحو ؟!

مدَّ الدكتور (مينا) ذراعه عن آخرها ، وضمَّ قبضته ، وفرد سبَّابته ، وكأنما يحاول الإشارة إلى شىء ما ، ثم راح يدير ذراعه الممدودة ، من الأمام إلى الخلف ، وشفتاه ترتجفان ، وكأنما تبحثان عن الكلمات المناسبة ، قبل أن يقول مندفعًا ، وكأنما يفرغ ما بجعبته :

- هناك .. فى المتحف .

كانت إجابته مدهشة ومحيِّرة ، فسأله (نور) فى توتر :

- ماذا تعنى ؟!

عادت الدموع تنساب من عينى الجيولوجى ، وهو يجيب :

- تلك الآثار أيها المقدِّم .. الآثار والتحف التى أحضرناها من هناك هى جريمتنا .

سأله (رمزى) فى لهفة :

- أتعنى أنكم قد سرقتموها ؟!

هزَّ الرجل رأسه نفيًا فى عنف ، وهو يجيب فى عصبية شديدة :

- ليت الأمر اقتصر على هذا .

ثم دفن وجهه فى كفيه ، وهو يضيف منهارًا :

- لقد قتلنا من أجلها .

وانتفضت أجساد الكل فى عنف ..

فقد كان هذا الجزء من اعترافه خطيرًا للغاية !

وبحق ..

* * *



هزَّ الرجل رأسه نفيًا في عنف ، وهو يجيب في عصبية شديدة :
ـ ليت الأمر اقتصر على هذا .. ثم دفن وجهه في كفيه ..

« لايوجد أى تفسير علمى لهذا .. »

نطق كبير خبراء مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية ، بالعبارة فـى توتـر ، أمـام الدكتور (جلال) ، قبل أن يقلب كفيه ، متابعًا فى عصبية :

ـ لقد درسنا المعطيات من كل الأوجه ، وراجعناها على كل القواعد العلمية المعروفة ، وفحصناها ، ومحصناها ، وغذينا بها أجهزة الكمبيوتر العلمية ، ومحطات البحث الخلوية ، ولـكن كل هـذا لم يسفر عن تفسير علمى ، أو حتى منطقى واحد .

بدا التوتر الشديد على وجه الدكتور (جلال) وصوته ، وهو يسأله :

ـ وماذا عما سجلته الأقمار الصناعية ؟!

هتف كبير الخبراء محنقًا :

ـ وما الذى سجلته ؟! انبعاث حرارى متغيِّر ؟! هذا يمكن أن يكون مجرَّد حرائق غابات ، أو حتـى تجمـع لبعض القبائل ، التى تشعل النيران فى احتفالاتها .

قال الدكتور (جلال) :

ـ ولكن كل الدراسات والمشاهدات تؤكّد أن هذه المنطقة غير مأهولة .

قال كبير الخبراء فى عصبية :

ـ وماذا عن ذلك المعبد الفرعونى، الذى تمارس فيه عقيدة سحرة (الفودو) ؟! أكان أيضًا ضمن الدراسات والمشاهدات ؟!

ازدرد الدكتور (جلال) لعابه، مغمغمًا :

ـ كلاَّ .

ثم عاد يشدّ قامته، محاولاً استعادة مهابة منصبه، وهو يسأل الرجل فى حزم :

ـ إذن فأنتم ترون أنه من الأفضل أن ترسل بعثة علمية استكشافية أخرى ؟!

أجابه الرجل فى غضب :

ـ كان الأفضل لو أصررتم على الحصول على نسخة من كل الصور والوثائق، التى عادت بها البعثة الأولى .

زفر الدكتور (جلال)، قائلاً :

ـ ومن كان يتصوّر ما حدث ؟!

ثم هزّ كتفيه، متابعًا :

ـ حتى كشف ذلك المعبد المزدوج، لم يكن ليثير لدينا أدنى اهتمام؛ فهو أمر يهمّ الأثريين وخبراء التاريخ الطبيعى وعلوم الأجناس وحدهم، ولولا ما أكّده العلماء الثلاثة، عن توقف كل أجهزتهم فى تلك المنطقة، وما كشفته محاولاتنا لرصدها، من ظواهر علمية عجيبة، لظللنا على عدم اهتمامنا به كمخابرات علمية .

قال كبير الخبراء :

ـ أضف إلى هذا ما حدث فى افتتاح قاعة المتحف الجديدة .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال)، وهو يقول :

ـ المقدّم (نور) وفريقه يتابعون هذه القضية بالفعل ..

سأله كبير الخبراء :

ـ وماذا عن ...

قاطعه الدكتور (جلال) فى صرامة :

ـ دعك من تفنيد الموقف الآن ، وأخبرنى بشكل محدود .. هل من الضرورة أن نرسل بعثة علمية استكشافية جديدة أم لا ؟!

لم يرق هذا الأسلوب للرجل ، فأجاب فى تبرُّم :

ـ اعتقد أن هذه هى الوسيلة الوحيدة ، لجمع المعلومات المطلوبة عن المنطقة ، و ...

مرة أخرى ، قاطعة الدكتور (جلال) فى صرامة ، قائلاً :

ـ عظيم .. أريد توصية رسمية بهذا على مكتبى ، خلال ساعة واحدة .

ارتفع حاجبا كبير الخبراء فى دهشة مستنكرة ، وحدَّق فى الدكتور (جلال) ، الذى ألقى عبارته ، وغادر المكان كله ، وهو واثق من أن لمطلبه هذا غرضًا آخر ..

غرضًا غير رسمى ..

على الإطلاق ..

* * *

صمت ثقيل ، رهيب ، مهيب ، ذلك الذى خيَّم على الحجرة ، بعد أن ألقى الدكتور (مينا) عبارته الأخيرة ..

وفى ذهول مذعور مستنكر ، حدَّق الجميع فيه ، وهو يفرغ انفعالاته الجارفة فى دموعه الغزيرة ، التى أغرقت وجهه كله ، وتساقطت بين قدميه ، وهو يقطع ذلك الصمت ، قائلاً بكل مرارة وعذاب الدنيا :

ـ لم يخطر ببالنا لحظة واحدة ، أنه من الممكن أن نفعل هذا ، أو أن نرتكب نصف هذا الجرم ، ولكنه ذلك الشر الرهيب ، الذى يغلف كل شبر من ذلك المعبد ! لقد كنا نكتفى بتسجيل ما يحدث ، حتى ..

ارتجف صوته ، مع جسده كله ، وهو يتابع :

ـ حتى وقع بصرنا على (إصبع الشيطان) ..

راح جسده كله يرتجف ، عند هذه النقطة ، وهو يروى فى انفعال :

ـ كان مظهره رهيبًا ، بعث الرعب فى قلوبنا جميعًا ، ولكن كل هذا لم يكن شيئًا أمام مخبره .. لقد رأينا ذلك الكاهن يصنع به أمورًا مذهلة ، رهيبة .. شريرة إلى أقصى حد ..

ثم تألقت عيناه ، وهو يضيف :

ـ شيء ما ، فى ذلك الإصبع الشيطانى ، ملأ نفوسنا بالرغبة والطمع ، وجعلنا نضع خطة حقيرة فى المساء ، لنستولى على كل ما سال له لعابنا ، فى ذلك المعبد الأسود ..

وانتفض جسده كله فى عنف ، وهو يصرخ :

ـ لم نكن نحن بالتأكيد .. كانت هناك روح شريرة تتقمصنا حتمًا .. لم نكن نحن .

سأله (نور) فى صرامة شديدة :

ـ ماذا فعلتم يا دكتور (مينا) ؟!

رفع الرجل إليه عينين زائغتين ، وهو يقول مرتجفًا :

ـ استخدمنا الغاز السام .

صرخت (سلوى) :

ـ غاز سام ؟! ومن أين أتيتم به ؟!

بكى فى مرارة ، وهو يجيب :

ـ كان جزءًا من أدوات حملتنا ، نستخدمه لقتل عينات الحيوانات والحشرات السامة ، التى نصادفها فى بعثتنا .. لم نكن نتصورُ أبدًا أن نستخدمه ضد آدميين .

وتجمّدت عيناه ، وارتسم على وجهه الرعب ، وهو يضيف :

ـ ولكننا فعلنا .

سأله الدكتور (حجازى) :

ـ كيف ؟!

هزّ رأسه فى قوة ، وهو يجيب :

ـ كنا نعلم أنه لن يسمح لنا بالرحيل أبدًا .. هذا هو

التفسير الوحيد لتركه إيانا نسجل كل مايحلو لنا .. لأنه كان يعلم أن أحدًا لن يطالع هذه التسجيلات .. ولكننا كنا نريد أن نعود، حتى نبلغ العالم كله بهذا الكشف المثير، الكفيل بوضع أسمائنا على قمة قائمة المستكشفين فى العالم عبر التاريخ .. كنا سنصبح أكثر شهرة من (كولومبوس) نفسه(*) .. ولقد أعمتنا الفكرة، وأعمانا الطمع، وانتظرنا حتى انبلج الفجر، وبدأ حراس المعبد من الزنوج يشعرون بالتعب والإرهاق، ثم ارتدينا أقنعتنا الواقية، وأطلقنا الغاز السام فى المكان كله.

انتفض جسد (سلوى) فى امتعاض، فى حين تمتمت (نشوى):

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

(*) (كرستوفر كولومبوس) (١٤٥١ ـ ١٥٠٨م): مكتشف (أمريكا)، ولد بجنوة (إيطاليا)، حصل على موافقة ملك (إسبانيا)، ليبحر بثلاث سفن إلى غرب المحيط الأطلنطي، فى أربع رحلات متتالية، كشف خلالها (بورتريكو)، وجزر (فيرجين)، و(جاميكا)، و(هندوراس)، وعلى الرغم من كشوفه المذهلة، مات فقيرًا، ويكاد يكون مغمورًا.

أما الدكتور (منير)، فقد انهمرت الدموع الغزيرة من عينيه كالسيول، وهو يتابع:

ـ عشرات سقطوا صرعى وقتلى، قبل أن يمكنهم حتى إطلاق صرخة واحدة .. وذلك الكاهن لم يكن هناك .. لذا فقد أسرعنا نجمع كل مانستطيع جمعه، وبالذات تلك الجمجمة، التى يوليها دومًا عناية فائقة، وإصبع الشيطان، الذى كنا واثقين من أنه أعظم كشف فى تاريخ علم الأجناس، عبر التاريخ كله .. ثم انطلقنا هاربين.

سأله (نور) فى توتر:

ـ وماذا عن المعاونين الباقين ؟!

لم يدر أحد الموجودين لماذا جال هذا بذهن (نور)، إلا أن وقع السؤال على الدكتور (مينا) كان مدهشًا ومثيرًا بحق ..

لقد انفجر باكيًا فجأة بمنتهى العنف، وراح يضرب جبهته بقبضته، وهو يصرخ:

ـ كان هذا أحقر ما فعلناه .. أحقره على الإطلاق .

انعقد حاجبا (نور) بغضب شديد ، وهو يقول :

ـ لم تكن هناك أقنعة واقية كافية .. أليس كذلك ؟!

ضرب الرجل جبهته بقبضته ، على نحو أكثر عنفًا ، وهو يجيب :

ـ بلي .. بلى .. كنا نحمل ثلاثة أقنعة واقية فحسب ، ولم نفكر لحظة فى مصير معاونينا .. لقد تركناهم يلقون مصرعهم بالغاز السام مع الآخرين ، وانطلقنا نحن هاربين ، حتى يمكننا أن نبلغ موقع الطائرة ، قبل أن يدرك الكاهن ما حدث .

سأله (رمزى) :

ـ ولماذا لم يقتله الغاز السام كالآخرين ؟!

أدار الدكتور (مينا) عينيه إليه بحركة حادة ، وهو يهتف :

ـ لأنه لايموت .

بُهِتَ الكل لجوابه ، وقال (نور) فى غضب :

ـ اللّه (سبحانه وتعالى) وحده حى لايموت يارجل ، أما كل مخلوقات الكون فهى فانية زائلة ، مهما طال بها الأمد .

صاح الدكتور (مينا) :

ـ إنه لايموت .. لاشىء يقتله .

ثم هبَّ من مقعده ، وراح يلوِّح بذراعيه فى جنون ، صائحًا :

ـ لقد رأيناه صريعًا وسط الآخرين ، بعد أن أطلقنا الغاز السام ، وتصوَّرنا أن أمره قد انتهى ، ولكننا فوجئنا به يطاردنا ، بعد أن عبرنا شلال النار .. ولقد نسفه الدكتور (فريد) نسفًا ، بقنبلة يدوية ، كان يحملها للطوارئ ، وعلى الرغم من هذا ، فقد كاد يلحق بنا ، قبل أن تحلِّق الطائرة ، ورأيناه يطير خلفنا ، وهو يطلق صرخة رهيبة ، فأطلق الطيار

عليه كل رصاصات مدفع الطائرة ، ثم رأيناه بعدها يحدّق فينا ، ويرفع يده نحونا بعظمة فخذ آدمية ، من فوق مرتفع آخر ، ونحن نفرّ هاربين .. صدقونى .. ذلك الكاهن لايموت أبدًا .

قال (نور) فى صرامة أكثر :

ـ كل المخلوقات تموت ..

هتف الدكتور (مينا) فى عصبية :

ـ إلا هذا .. إنه ليس ..

بتر عبارته بغتة ، وارتد إلى الخلف بحركة حادة ، وهو يطلق صرخة مفاجئة ، ويضرب الهواء بذراعيه ، صارخًا :

ـ لا .. الرحمة .. ليس أنا .. ليس أنا ..

استدار الجميع فى سرعة ، إلى الجدار المقابل له تمامًا ، وسحب (نور) و(أكرم) مسدسيهما بحركة غريزية ، وشهقت (سلوى) ، واتسعت عيون

الدكتور (حجازى) ، والدكتور (عبادة) ، و(رمزى) عن آخرها ، فى حين أطلقت (نشوى) صرخة رعب مدوية ..

فهناك ، على مسافة متر ونصف فحسب منهم ، ومتر واحد من الجدار المقابل ، الذى لايحوى أية أبواب أو نوافذ ، كان يقف ذلك الكاهن الرهيب .. يقف صامتًا ، صارمًا ، قاسيًا ، بنظراته التى لاتملك معها سوى أن ترتجف ..

ولم ينطق أحد بحرف واحد ..

فقط راحوا كلهم يحدقون فى ذلك الكاهن ، الذى أدار بصره فيهم ببطء رهيب ، قبل أن يرفع كفه المضمومة ، التى حدّق فيها الدكتور (مينا) ، بكل رعب الدنيا ، وهو يردّد :

ـ لقد أتيت من أجلى .. أعلم أنك أتيت من أجلى .

مع آخر حروف كلماته ، فتح الكاهن يده بغتة ..

وحدّق الكل فى ذلك الشىء الأحمر الصغير ، الذى استقرّ فى راحته ، والذى لم تكد قبضته تنفرج عنه ، حتى نهض ، ورفع ذيله القصير ..

كان عقربًا ، من النوع الأحمر شديد السمية .

وبرعب هائل ، تراجع الدكتور (مينا) ، حتى التصق بالجدار ، وهو يضرب الهواء بذراعه ، ويصرخ :

ـ لا .. أرجـوك .. لاتقتلنى .. أريد أن أعيـش .. أرجوك .. أرجوك .

توترت كل ذرة فى كيان (أكرم) ، مع توسلات الدكتور (مينا) المنهارة ، فصاح فى حدة :

ـ لو تحركت حركة واحدة ، فسوف ..

قبل أن يتمّ عبارته ، وثب العقرب من يد الكاهن بغتة ، وارتطم بالأرض ، ليصدر عنه صوت أشبه بصوت بلَور يتحطّم ..

ثم فجأة ، وفور ارتطامه ، انقسم إلى عشرات العقارب الحمراء ، المشابهة له تمامًا ..

ومـع صرخـات (نشـوى) و(سـلوى) ، انطلقت العقارب السامة تهاجم كل من فى الحجرة المغلقة .. بلا استثناء .

* * *



٦ ـ كل الشر ..

نهض رئيس وزراء ذلك البلد الإفريقى ، ليصافح وزير داخليته ، وهو يقول فى توتر ملحوظ :

ـ جميل منك أن أتيت بهذه السرعة ؛ فالأمر مهم بالفعل .

سأله الوزير بقلق بالغ :

ـ ماذا هناك بالضبط ؟!

أشار إليه رئيس الوزراء بالجلوس ، وهو يُطلق من أعمق أعماق صدره زفرة حارة ، قائلاً :

ـ المصريون يطلبون تصريحًا بإرسال بعثة علمية استكشافية جديدة .

امتقع وجه وزير الداخلية ، وهو يهتف :

ـ ولماذا ؟!

مطّ رئيس الوزراء شفتيه ، وقال :

ـ يقولون : إنها امتداد للبعثة الأولى .

حدّق فيه وزير الداخلية لحظة ، قبل أن يهتف فى عصبية :

ـ إنهم كاذبون !

زفر رئيس الوزراء مرة أخرى ، وقال :

ـ أعلم هذا ، ولكنه كذب على أوراق رسمية ، وعلى نحو يستحيل رفضه دبلوماسيًا .

هتف الوزير بتوتر زائد :

ـ ولكن سيادتك تدرك كم من المتاعب والمشكلات ، التى واجهتها بلادنا ، بسبب بعثتهم الأولى .

للمرة الثالثة ، زفر رئيس الوزراء ، مغمغمًا :

ـ أدرك هذا يا رجل .. أدركه تمام الإدراك .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى عصبية :

ـ ولكن السؤال هو : ماذا يمكن أن نفعل ؟!

انتفض الوزير ، وهو يهتف فى صرامة :

ـ نرفض منحهم ذلك التصريح بالطبع .

هزّ رئيس الوزراء رأسه نفيًا ، وتراجع مرة أخرى فى مقعده ، وهو يقول فى مرارة :

ـ هذا مستحيل للأسف !!

هبَّ الوزير من مقعده فى حدة ، هاتفًا :

ـ ولماذا ؟! أخبرهم أن وجودهم يتعارض مع أمننا القومى .

هزّ رئيس الوزراء رأسه مرة أخرى ، قائلاً فى مرارة :

ـ المشكلة أن الخطاب الذى وصلنى من (مصر) ، واحد من ثلاث نسخ ، أرسلت إحداها إلى وزير البحث العلمى ، والثانية إلى السيد رئيس جمهوريتنا ، وهو يرحب جدًا بمقدم البعثة العلمية الاستكشافية المصرية ، وإقناعه بالعدول عن هذا يعنى أن نخبره بالحقيقة .

ثم مال نحو الوزير ، مضيفًا فى عصبية زائدة :

ـ كلها .

اتسعت عينا الوزير ، فى ارتياع شديد ، وبدا وكأن الكلمة قد زلزلت كيانه ، وأعجزت ساقيه عن حمله ، فترك جسده يهوى مرة أخرى على مقعده ، وهو يسأل :

ـ وماذا سنفعل ؟!

زفر رئيس الوزراء ، ولوّح بكفه ، قائلاً :

ـ هذا ما سألتك إياه .

حدّق فيه الوزير بضع لحظات ، وعيناه تحملان مزيجًا من الهلع والذعر والتوتر ، قبل أن ينهض مرة أخرى ، ويدور فى الحجرة كذئب جريح ، وهو يضرب راحته بقبضته ، فى عصبية ما لها من حدود ، ثم لم يلبث أن توقّف بغتة ، هاتفًا فى حدة :

ـ لابد أن نمنع هذه البعثة ، من بلوغ هدفها .. وبأى ثمن .

مال رئيس الوزراء إلى الأمام ، يسأله في اهتمام بالغ :

- هذا يتوقَّف على المدى الذى تعنيه ، بكلمة (أى ثمن) هذه !

برقت عينا الوزير فى صرامة ، وهو يجيب :

- أعنى أى ثمن .

تراجع رئيس الوزراء فى بطء ، قائلاً :

- عظيم .. هذا يحسم كل شىء .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف بمنتهى الصرامة :

- المصريون لم يحدّدوا متى ستأتى تلك البعثة الثانية بالضبط ، ولكننا سنفترض أنها ستأتى غدًا ، وهذا يعنى أنه أمامك يوم واحد ، لتضع خطتك ، وكل ما يلزم لتنفيذها .

وعاد يميل إلى الأمام ، مستطردًا فى صرامة أكثر :

- المهم ألا تصل هذه البعثة إلى هدفها .. أبدًا .

وتألّقت عينا الوزير فى ظفر وحشى ..

فهذا أفضل مصطلح سمعه ، منذ بدأ الحوار .. على الإطلاق ..

* * *

موجة رعب هائلة سادت المكان ، عندما انطلقت العقارب الحمراء السامة فى كل اتجاه ..

صرخات قوية تردَّدت ، بين الجدران الأربعة ، والكل يحاول الابتعاد عن ذلك الزحف الأحمر القاتل ..

وبكل غضبه ، صرخ (أكرم) ، وهو يطلق النار نحو الكاهن :

- أيها الوغد الحقير .

خُيِّل إليه أن الكاهن قد اختفى بغتة ، قبل أن تبلغه رصاصاته ، ثم عاد للظهور فى الركن ، وهو يتطلّع إلى ما يحدث بعينين تتألقان شرًا ..

وأدار (أكرم) فوهة مسدسه نحوه بسرعة ..

ولكنه لم يطلق رصاصاته هذه المرة ..

العقارب الحمراء السامة انقضّت عليه ، كما انقضّت

على الجميع ، وراحت تتسلق جسده فى سرعة ، فتراجع صارخًا :

ـ لا .. لا ..

كان أمرًا بشعًا ، أن تغمر جسدك كل هذه العقارب ، وأن تشعر بأقدامها المفصلية الصغيرة ، وهى تتسلقك ، وتسمع صرخات الآخرين فى الوقت ذاته ، وتراهم يضربون العقارب بأيديهم ، فى محاولة يائسة للنجاة ، فى نفس الوقت الذى راح الدكتور (مينا) فيه يصرخ ..

ويصرخ ...

ويصرخ ...

ثم فجأة ، اختنق صوته ، وجحظت عيناه ، وانتفخ وجهه على نحو رهيب مخيف ، قبل أن تنطلق من حلقه حشرجة رهيبة ..

حشرجة ، اقترنت بأمر بالغ الغرابة والحيرة ..

ففى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها حشرجته ، التى

بدت وكأنها تأتى من مركز الشعور بالألم مباشرة ، اختفت كل العقارب الحمراء دفعة واحدة ..

كلها إلا عقربًا واحدًا ..

ذلك الذى تعلّق بعنق الدكتور (مينا) ، وغرس ذنبه فيه ، وبدا مشرئبًا ، ظافرًا ، قويًا ، لامعًا كتمثال من العقيق الأحمر النادر ..

وكالحجر ، هوى الدكتور (مينا) جثة هامدة ، ووجهه مسودّ على نحو رهيب ..

رهيب للغاية !

وفى ذهول مذعور حائر ، حدّق الكل فى جثته ، قبل أن تدور العيون كلها إلى الكاهن الرهيب ، الذى تألقت عيناه أكثر وأكثر ، فى ظفر لامحدود ، قبل أن يمدّ يده إلى الأمام ، ويفتح كفه ..

وهنا ، وثب العقرب الأحمر من عنق الدكتور (مينا) ، وانطلق بسرعة نحو الكاهن ، و ...

ووثب (أكرم) بغتة ، ليسحق ذلك العقرب بقدمه ، هاتفًا فى غضب :

ـ محال !



اختفت كل العقارب الحمراء دفعة واحدة .. كلها إلا عقربًا واحدًا .. ذلك الذى تعلّق بعنق الدكتور (مينا) ..

سمع الكل صوتًا أشبه بزجاج يتحطّم ، فى نفس اللحظة التى انعقد فيها حاجبا الكاهن فى شدة ، وارتسم عليه غضب هائل بلا حدود ..

ولكن (نور) هتف ، وهو يرفع مسدسه الليزرى نحوه :

- أيها الحقير .

بحركة آلية ، رفع (أكرم) مسدسه أيضًا ..

وأطلق الإثنان فى آن واحد ..

(نور) أطلق أشعته الليزرية ..

و(أكرم) أطلق رصاصاته ..

و(سلوى) و(نشوى) أطلقتا صرختيهما ..

وبكل الرعب ..

فما إن أصابت رصاصات (أكرم) ، وأشعة (نور) جسد الكاهن ، حتى تفجّر بغتة ، وتناثرت أشلاؤه فى كل مكان ..

ولكن ليس هذا ما أصابهما بالرعب ..

بل ما حدث فى اللحظة التالية مباشرة ..

فما إن تفجرت تلك الأشلاء ، والتصقت بالجدران والسقف والأرضية ، حتى دبت فيها الحياة بغتة ، وانطلقت تزحف كلها ، نحو الموضع الذى كان يقف فيه الكاهن ، بسرعة مدهشة ..

وأمام العيون الذاهلة ، والقلوب الواجفة ، التقت كل الأشلاء ، وعادت تمتزج ، ليقف الكاهن مرة أخرى أمامهم ، سليمًا معافى ، وعيناه المخيفتان تبرقان على نحو رهيب ..

وفى هدوء عجيب ، استدار ، واتجه نحو الجدار مباشرة ، بكل الثقة ..

وكما حدث فى منزل الدكتورة (عبلة) ، اخترق الجدار ، وذاب داخله تمامًا ..

ولثوان ، كانت تقترب من الدقيقة الكاملة ، ظلّ الكل يحدقون فى تلك الجدار ، الذى اختفى داخله الكاهن ، قبل أن يقطع الدكتور (عبادة) ذلك الوجوم الصامت ، وهو يهتف :

ـ مستحيل !

انتزع هتافه الكل من ذهولهم ، فاندفع (نور) نحو الدكتور (مينا) ، هاتفًا :

ـ رباه ! هل ..

سبقه إليه الدكتور (حجازى) ، الذى انحنى يفحص جثة الجيولوجى فى اهتمام بالغ ، قبل أن يقول فى أسى :

ـ مسكين .. لقد قتله ذلك العقرب العجيب .

رفع (أكرم) قدمه فى تلك اللحظة ، عن العقرب الذى سحقه ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أكان عقربًا حقًا ؟!

استدار الكل إليه ، وتطلعوا فى دهشة بالغة إلى تلك المادة الحمراء اللزجة ، الملتصقة بنعل حذاء (أكرم) ، قبل أن تهتف (نشوى) :

ـ ولكن هذا مستحيل ! لقد كان عقربًا قاتلاً ، وكلنا رأيناه يقتل الدكتور (مينا) بسمه .

أجابها الدكتور (حجازى) فى حزم :

ـ الذى قتل الدكتور (مينا) ليس سم عقرب يا بنيتى.. بل وليس هناك دليل واحد على أنه قد لقى مصرعه بنوع من السم ؟ فما من سم أعرفه، يجعل الوجه مسودًا على هذا النحو الرهيب، وبهذه السرعة !

سأله (نور) فى توتر :

ـ ما سبب مصرعه فى رأيك إذن ؟!

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه فى توتر، قائلاً :

ـ هذا يحتاج إلى فحص شامل .

سأله (نور) :

ـ هل يمكنك القيام به فورًا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ بالتأكيد .. لو أنه لدينا الاستعدادات الكافية .

التقط (نور) جهاز الاتصال، قائلاً فى حزم :

ـ سأطلب إعداد كل شىء فورًا .

نقل (أكرم) بصره بين الجميع، وانتزع حذاءه؛ ليزيل منه تلك المادة اللزجة، الملتصقة به، وهو يقول فى عصبية :

ـ ولكن لماذا حدث كل هذا ؟! لقد هاجمتنا جيوش العقارب، التى تفجرت من العقرب الأول، ثم اختفت فجأة، دون أن تمسنا بسوء، مكتفية بما فعله زعيمها بالدكتور (مينا) ! لماذا كل هذا بالله عليكم ؟!

أجابه (رمزى) :

ـ لتشتيت انتباهنا .

أشار (نور) بيده، بعد أن انتهى من اتصالاته، وقال مؤمنًا على كلام (رمزى) :

ـ بالضبط .

هتف (أكرم) فى دهشة :

ـ ولماذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- حتى لانحاول حماية الدكتور (مينا) ، بسبب انشغالنا فى الدفاع عن أنفسنا ، ضد هجوم وحشى وهمى .

تساءلت (سلوى) :

- وهل كان بإمكاننا حمايته ؟!

أجابها (نور) :

- بالتأكيد .

ثم ألقى نظرة آسفة على جثة الرجل ، قبل أن يتابع :

- من الواضح أن (أكرم) قد نجح فى حمايته بالفعل بوسيلة ما ، عندما أحرق ذلك الكاهن الرهيب منزله بالوثائق ، وحاول قتله هناك .

قال (أكرم) فى حيرة متوترة :

- ولكن كيف ؟! إننى لم أفعل شيئًا تقريبًا .. صحيح أننى أطلقت النار على ذلك الكاهن ، إلا أن هذا لم يؤذه قط .. حتى النيران لم تلتهم ذرة واحدة منه ، أو حتى من ثيابه .

سأله (نور) فى اهتمام :

- ألم تفعل شيئًا آخر عندئذ ؟!

هزّ (أكرم) رأسه فى قوة ، مجيبًا :

- مطلقًا .. إننى لم أدر حتى ماذا أفعل .. لقد كان الدكتور (مينا) منهارًا ، يردد ذلك الاعتراف بالخطأ ، الذى أخبرتكم به ، فأخفيت عينيه بكفى ، حتى أبعد ذلك الكاهن عن بصره ، و...

تألقت عينا (رمزى) ، عند هذه النقطة ، وهتف (نور) :

- ربما كان هذا ..

سأله (أكرم) فى حيرة :

- وما هذا ؟!

أجابه (رمزى) فى سرعة :

- أنك أخفيت عينيه .

هتف (أكرم) فى حدة :

- وماذا فى هذا ؟!

قال (نور) فى اهتمام :

- يبدو أن تأثير ذلك الكاهن يكمن فيما يسببه من رعب بالغ لضحاياه ، أو أن قدراته ترتبط برؤيته ، وعندما حجبت أنت تلك الرؤية عن الدكتور (مينا) ، لم يعد بإمكان الكاهن القضاء عليه ، على نحو أو آخر .

قال الدكتور (عبادة) :

- إنه مجردُ استنتاج أيها المقدّم .

التفت إليه (نور) ، قائلاً فى حزم :

- لسنا نملك سواه ، فى الوقت الحالى ، يا دكتور (عبادة) .

قالها ، وانعقد حاجباه بشدة ، قبل أن يتابع :

- ولكننا نستطيع القيام بما هو أكثر .

أدركت (سلوى) و(نشوى) ما يعنيه بقوله هذا ، فسألته الأولى :

- ما الذى تريده بالضبط يا (نور) ؟!

أشار إلى الجدار ، الذى اختفى عنده ذلك الكاهن ، وهو يقول :

- أريد فحص هذا الجدار بمنتهى الدقة ، وفحص كل بقعة تناثرت عندها أشلاء ذلك الكاهن .. أريد التأكد مما إذا كان ما رأيناه أمامنا حقيقة ، أم هو نوع من الوهم ، الذى يستخدم تقنية لا قبل لنا بها .

ثم اتجه نحو الباب ، مستطردًا :

- أما أنا ، فسأبحث الموقف الرسمى ، بالنسبة لما يحدث .

سأله (أكرم) فى توتر :

- وماذا عنى ؟!

التفت إليه (نور) ، قائلاً :

- لا تتعجل يا صديقى .. كل منا سيأتى دوره حتمًا .

انعقد حاجبا (أكرم) فى ضيق ، ولم ينبس ببنت شفة ،

حتى غادر (نور) المكان، فغمغم محنقًا:

- عظيم .. يمكننى أن أكتفى بالمشاهدة إذن.

ربّت الدكتور (حجازى) على كتفه، قائلاً:

- لو أنك ترغب فى مشاهدة شىء جديد، يمكنك أن تصحبنى، عندما أفحص جثة الدكتور (مينا).

هتف الدكتور (عبادة) فى سرعة:

- أنا سأفعل.

مطّ (أكرم) شفتيه، وهزّ كتفيه، قائلاً:

- إنه لن يكون حتمًا بالمشهد الجميل، ولكن ..

صمت بضع لحظات، ثم عاد يهزّ كتفيه، مستطردًا:

- ولِمَ لا ؟!

فى نفس اللحظة، التى نطق فيها عبارته، كان (نور) يدلف إلى حجرة مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية، ويؤدى التحية العسكرية فى قوة، فأشار إليه القائد الأعلى، قائلاً:

- تقدّم أيها المقدّم .. لقد كنا نتوقّع حضورك.

نقل (نور) بصره، بين القائد الأعلى والدكتور (جلال)، قبل أن يقول فى حذر:

- من الواضح أنكما تعلمان كل شىء يا سيّدى.

هزّ الدكتور (جلال) كتفيه، قائلاً:

- إلى حد ما.

ثم تحرّك فى الحجرة، متابعًا فى توتّر:

- صحيح أن ما نعرفه يفوق ما تعرفونه أنتم، إلا أن مجموع معارفنا لا يكفى لكشف غموض الموقف كله.

أقلقت العبارة (نور)، وهو يقول:

- ما نعرفه قليل وغامض يا دكتور (جلال).

زفر الدكتور (جلال)، قائلاً:

- ما نعرفه أيضًا قليل وغامض، ومخيف أيها المقدّم.

انعقد حاجبا (نور) فى شدة، فتراجع القائد الأعلى فى مقعده، قائلاً:

- أعتقد أنه من حقك أن تعلم كل ما لدينا يا (نور) .

غمغم (نور) :

- هذا كل ما أتمناه ..

وصمت لحظة، قبل أن يضيف بحزم :

- فى الوقت الحالى .

أومأ الدكتور (جلال) برأسه متفهمًا، فى حين نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه، وعقد كفيه خلف ظهره، وهو يتحرك فى الحجرة، قائلاً :

- الواقع أن الأمر كله لم يكن يثير اهتمامنا أيها المقدّم، حتى حادث القاعة الجديدة، ومحاولتنا رصد الموقع، الذى عثروا فيه على ذلك المعبد الفرعونى المزدوج، الذى تمارس فيه عقيدة (الفودو)، و ...

راح يشرح له كل الظواهر الغامضة، التى ارتبطت بموقع المعبد، و(نور) ينصت إليه فى اهتمام، حتى بدأ يقول :

- الشىء الذى علمناه مؤخرًا، وربما منذ ساعة واحدة فحسب، هو أن حكومة ذلك البلد الإفريقى، الذى يوجد المعبد المزدوج داخل حدوده، على علم بوجود أمر غامض، فى تلك البقعة بالتحديد .

غمغم (نور) فى دهشة حذرة :

- وما الذى يعلمونه بالضبط ؟!

أجابه الدكتور (جلال) هذه المرة :

- معلوماتنا لم تبلغ هذا القدر بعد .. ربما لايعرفون كل التفاصيل، ولكنهم حظروا اقتراب قواتهم من تلك البقعة، ومنعوا الطيران فوقها، وهذا منذ فترة طويلة، ولدينا ما يوحى بأن هذا يحدث منذ الأزل .

تمتم (نور) :

- رباه ! الأمر بهذا يزداد غرابة وغموضًا .

أشار الدكتور (جلال) بيده، قائلاً :

- الأمر غامض منذ البداية أيها المقدّم؛ فلم يحدث

من قبل قط ، أن تم العثور على معبد فرعونى كامل ، فى قلب (إفريقيا) ، أو حتى فى أى مكان آخر ، خارج حدود (مصر) .. صحيح أن التاريخ يشير إلى وجود علاقات تجارية ، بين (مصر) الفرعونية ، وذلك البلد الإفريقى ، ولكن إقامة معبد كامل ، فى منطقة وسط أحراش كثيفة كهذه ، أمر آخر .. ثم إن هذا المكان ليس منبع عقيدة (الفودو) ، حسبما يؤكد التاريخ .. بل ولم يعرف قط سحرة (الفودو) القساة ، خلال تاريخه الطويل ، فكيف تهيمن تلك العقيدة الوثنية الشيطانية على معبد فرعونى عريق هناك ؟!

قال القائد الأعلى ، وكأنه يكمل الحديث :

- ليس هذا فحسب يا (نور) ، ولكن تحرياتنا كشفت لنا أسطورة محلية تتردد هناك ، فى ذلك البلد الإفريقى ، عن كاهن مخيف ، يحكم عالم الأحراش ، منذ آلاف السنين ، ويحمى منطقة عجيبة ، يطلقون عليها اسم (فو ـ كا) .. وهو اسم مركب ، مشتق من اللهجة المحلية لبعض القبائل هناك ، بالإضافة

إلى اللغة الهيروغليفية القديمة(*) ، فى مزيج لا يمكن أن تجده ، إلا فى تلك البقعة بالتحديد ، وبالنسبة للسكان المحليين ، فالاسم يعنى (أرض الأرواح الخالدة) ..

قال (نور) فى تفكير عميق :

- اسم مثير للاهتمام بالفعل .

استعاد الدكتور (جلال) دفة الحديث ، وهو يقول :

الكل يتناقل هذه الأسطورة ، التى يعود ترديدها إلى زمن سحيق للغاية ، وكلهم يتحدثون عنها بخوف ومهابة ، ولا أحد يجرؤ على الذهاب إلى هناك ، أو حتى الاقتراب من المكان ، الذى تحرسه وحوش رهيبة ، ويحميه شلال من نار كما يقولون .

تمتم (نور) ، وهو يستعيد حديث الدكتور (مينا) الأخير :

- العجيب أنها حقيقة .

(*) كلمة (كا) بالهيروغليفية تعنى (الروح) ..

تبادل الرجلان نظرة دهشة عارمة ، قبل أن يهتف الدكتور (جلال) فى لهفة :

- وكيف عرفت هذا ؟!

روى لهما (نور) ما حدث مؤخرًا ، وما رواه الدكتور (مينا) قبل مصرعه ، فتملكتهما دهشة عارمة ، وقال القائد الأعلى فى صرامة :

- الأمر أصبح كتلة من الغموض المخيف يا (نور) ، ولاتوجد وسيلة واحدة لكشفه ، سوى ...

صمت لحظة ، فأكمل (نور) فى سرعة :

- سوى الذهاب إلى هناك .

هتف الدكتور (جلال) :

- بالضبط .

شدّ (نور) قامته ، وهو يقول :

- أنا وفريقى مستعدون للقيام بكل ما يقتضيه واجبنا يا سيّدى .

أشار إليه القائد الأعلى ، قائلاً فى حزم :

- الأمر ليس بهذه البساطة أيها المقدّم ؛ ففريقك وحده لايكفى للقيام بهذه المهمة .. أنت تحتاج إلى عدد آخر من الخبراء .. خبير آثار مثلاً ، وخبير فى علم الحيوان ، وآخر فى الظواهر فوق الطبيعية ، وربما لعدد من رجال القوات الخاصة أيضًا .

أجابه (نور) فى حسم :

- كل ما نحتاج إلى البحث عنه هو خبير الآثار المصرية يا سيّدى ، فلدينا بالفعل الدكتور (عبادة) ، رئيس نقابة الأطباء البيطريين ، وهو خبير فى التشريح المقارن ، والدكتور (محمد حجازى) ، بكل اهتماماته وخبرته ، فى الظواهر غير الطبيعية ، وبمعلوماته الفائقة عن عقيدة (الفودو) ، ويمكننا اصطحاب أربعة من رجال القوات الخاصة ، التابعين لنا .

قال القائد الأعلى :

- بقيت نقطة أكثر أهمية أيها المقدّم ..

ثم مال إلى الأمام، وأضاف فى صرامة :

ـ فمن الضرورى أن يدرك كل شخص، سينضمّ إلى هذه الحملة، أنه من المحتمل أن تكون الرحلة فى اتجاه واحد، وألا يعود منها أحد على قيد الحياة، ففى هذه المرة، سيكون هناك من ينتظركم ..

وانعقد حاجباه، وهو يكمل :

ـ باختصار .. إنكم ستذهبون مباشرة إلى الجحيم .. جحيم لا يعلم مداه إلا الله (سبحانه وتعالى) ..

ولم ينبس (نور) ببنت شفة ..

فقد كان كل ما يقوله القائد الأعلى صحيحًا .. ومخيفًا ..

إلى أقصى حد ..

* * *

على الرغم من أن (أكرم) قد شاهد جثة الدكتور (مينا)، بوجهها المنتفخ المسود، عندما كانت ملقاة

فى الحجرة هناك، إلا أن مرآها هنا، على منضدة التشريح، فى حجرة الطب الشرعى، كان له فى نفسه وقعًا مختلفًا للغاية ..

لقد أورثه هذا توترًا بالغًا، جعله يتحسّس مسدسه كل لحظة وأخرى، وهو يتطلّع إلى الوجه، الذى بدا بكل علامات الرعب المحفورة عليه، أشبه بنحت على قطعة من خشب الأبنوس الأسود، وكأنما ستهب الجثة جالسة، لتنقض عليه بلا رحمة ..

وربما كان هذا بسبب تجربة سابقة، لم يمكنه نسيانها بعد[*] ..

أما الدكتور (حجازى) والدكتور (عبادة)، فقد بدا الأمر لهما تقليديًّا، والأوّل يسجل ملاحظاته عن العلامات الظاهرية على الجثة، قبل أن يتوقّف عند الوجه المسود، ليتطلّع إليه بضع لحظات، ثم يواصل :

ـ الوجه أسود منتفخ، على نحو لايتشابه مع أية

(*) راجع قصة (الظلال الرهيبة) ... المغامرة رقم ١٢٢ ..

أعراض لسموم معروفة ، أو حروق مسجلة ، فى أية مراجع رسمية ، والعينان جاحظتان ، ضمن ملامح الرعب ، التى تجمدت على الجثة لحظة الوفاة ..

تنهد فى توتر ، وهز رأسه ، وكأنما لا يروق له الأمر كله ، ثم سحب محقنًا ، وغرسه فى الوريد العنقى للجثة ، وراح يسحب بعض الدم منها ، فغمغم الدكتور (عبادة) فى انفعال ، وهو يشير إلى الدماء ، التى تنسحب إلى المحقن :

- يا إلهى ! انظر .. هل رأيت يومًا شيئًا كهذا ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) بشدة ، وهو يحدق بدوره فى ذلك السائل الأسود اللزج ، الذى ملأ المحقن ، قبل أن يهتف :

- يا إلهى ! يا إلهى !

قال (أكرم) ، فى توتر شديد :

- كيف يمكن أن يحدث هذا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) ، وهو يفرغ ذلك السائل فى قارورة خاصة ، ويضعها داخل جهاز الفحص :

- ستعرف الآن .

ترك الجهاز يدير العينة فى سرعة ، بقوة الطرد المركزية ، فى حين التقط هو مشرطًا ، وقال وهو يهبط به على صدر الجثة :

- الآن سنبدأ عملية التشريح ، لمعرفة أية تغيرات داخلية بالجسم .

غرس المشرط فى صدر الجثة ، ثم جذبه إلى أسفل بقوة ، ليشق منطقتى الصدر والبطن ، و ...

وفجأة ، انتفضت الجثة كلها فى عنف ، وانتقلت انتفاضتها إلى أجساد الرجال الثلاثة ، والدكتور (عبادة) يصرخ :

- إنه حى .. إنه لم يمت بعد .

لم يكد يتم صرخته ، حتى انطلق أزيز قوى من جهاز فحص العينات ، فى نفس اللحظة التى انشقت فيها بطن الجثة بعنف ، دون أن يلمسها أحد ..

ثم فجأة ، تدفق منها سائل عجيب ..

سائل أسود لزج ، يشبه إلى حد كبير ذلك الذى سحبه المحقن من الجسد ، ولكنه أكثر كثافة ..

سائل تدفق من البطن المشقوق ، وسال على منضدة التشريح ، فتراجع الرجال الثلاثة بحركة سريعة ، و(أكرم) يسحب مسدسه ، صائحًا :

ـ ماذا يحدث هنا ؟! ماذا يحدث هنا ؟!

انسكب السائل السميك ، فى تلك اللحظة ، على أرضية الحجرة ..

ولكن انسكابه كان أكثر عجبًا من هيئته نفسها ..

فهو لم ينسكب بالمعنى المعروف ، وإنما سقط من المنضدة ، ليتجمّع مع بعضه ، ويصنع كتلة هلامية عالية ..

ثم تموّجت تلك الكتلة السوداء ، وراحت تكتسب شكلاً عجيبًا ، والثلاثة يحدقون فيها فى ذهول ..

وانطلقت فى المكان زمجرة وحشية رهيبة ..

زمجرة وحش مخيف ..

وحش لم يكن له وجود ..

منذ لحظة واحدة ..

وحش بدا أشبه بصورة مجسّمة للشر ..

كل الشر .

* * *



٧ـ أرض الأرواح ..

حلقت الطوافة التى تحمل وزير خارجية الدولة الإفريقية ، فوق منطقة الأحراش الكثيفة ، وقال قائدها فى قلق ، وهو يدور بها حول المنطقة المحرمة :

لا يمكننا أن نتقدم أكثر من هذا يا سيادة الوزير ، وإلا سقطنا فى الـ (فو ـ كا) ..

ـ انعقد حاجبا الوزير ، وهو يقول فى عصبية :

ـ اهبط هنا إذن .

تساءل الطيار فى توتر :

ـ أين ؟! لا توجد منطقة واحدة هنا صالحة للهبوط .

أشار إليه الوزير ، قائلاً :

ـ اتجه إلى تلك الأشجار العالية هناك .

اتجه الطيار إلى حيث أشار الوزير ، ولم يكد يبلغ تلك المنطقة ، حتى ارتفع حاجباه فى دهشة ..

فعلى الرغم مما تبدو عليه هذه المنطقة من بعيد ، وكأن أشجارها العالية كثيفة للغاية ، كان الاقتراب منها يكشف عن مساحة مستديرة خالية فى منتصفها ، على نحو يبدو أشبه بمهبط خاص للطوافات ..

وبكل دهشته ، هتف الطيار :

ـ كيف يمكن أن يحدث هذا ؟!

زمجر الوزير فى عصبية ، قائلاً :

ـ اهبط هناك فحسب .

أطاعه الطيار ، وراح يهبط مباشرة فى تلك المكان ، بين الأشجار العالية ، حتى استقر على الأرض ، فالتفت حوله ، قائلاً :

ـ لا يوجد مخرج أرضى هنا .

تجاهل الوزير قوله تمامًا ، وهو يغادر الطوافة ، قائلاً فى صرامة متوترة :

- انتظر عودتى .

هتف به الطيار فى قلق :

- ولكن أين ستذهب ؟!

مرة أخرى ، تجاهله الوزير تمامًا ، وهو يبتعد عن الطوافة ، متجهًا نحو بقعة تشابكت عندها الأغصان الكثيفة ، والأوراق العريضة ، فغمغم الطيار فى عصبية شديدة :

- ترى ما الذى .....

قبل أن يتمّ تساؤله ، برز من بين الأوراق والأغصان ثلاثة من الزنوج ، الذين امتلأت أجسادهم نصف العارية ، بالأصباغ والرسوم ، ورفع أحدهم يده فى وجه الوزير ، وأصابعه تقبض على عظمة ذراع آدمية ، فرفع الوزير يده ، ومسّ العظمة بأصابعه ، فاستدار الرجال الثلاثة وغاصوا وسط الأغصان والأوراق ، وغاص الوزير خلفهم ..

وبكل دهشة وتوتره ، غمغم الطيار :

- رباه ؟ وكأنه جاء إلى هنا ألف مرة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى عصبية :

- أو أنه جاء من هنا .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان الوزير يتبع الزنوج الثلاثة ، خارج تلك الأغصان المتشابكة ، إلى ممر ضيق ، تحيط به الأغصان ، بحيث لا يمكن أن تلمحه الأعين من خارج المكان ..

وفى نهاية ذلك الممر ، كانت ألسنة اللهب تتراقص فى عنف ..

وكان لفحها يبلغهم ، ويرفع حرارة أجسادهم ، فيسيل العرق عليها غزيرًا ، وهم يقتربون من تلك الألسنة النارية أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

كان الممر يمتدّ وسطها ، فتحيط هى به على نحو عجيب ، وكأنها تخشى الاقتراب منه ..

ووسط ألسنة اللهب ، عبر الوزير خلف الزنوج الثلاثة ..

ثم توقّف الزنوجِ ،وكأنما لم يعد بوسعهم الاستمرار ، وأشاروا إليه بالتقدم وحده ..

وأكمل الوزير مسيرته ، حتى بلغ جدارًا حجريًا ، ارتسمت فوقه بعض النقوش العجيبة ..

نقوش ليست فرعونية ، بأى حال من الأحوال ..

نقوش تنتمى حتمًا لعقيدة سحرية شيطانية قديمة .. (الفودو) ..

وتوقّف الوزير أمام ذلك الجدار ..

كان قد ابتعد كثيرًا عن ألسنة اللهب ولفحاتها ، وعلى الرغم من هذا ، كان العرق يتصبّب على وجهه بشدة وغزارة ، وحلقه جاف على نحو مخيف و ...

وفجأة ، انشق ذلك الجدار ..

انشق كاشفًا فجوة سوداء مظلمة ، برز منها ذلك الكاهن الرهيب ، الذى تقدّم نحوه ، حتى صار على قيد ثلاثة أمتار منه ، فتوقّف ، وتألقت عيناه بذلك البريق المخيف ..

ودون أن يدرى ، وجد الوزير نفسه يخرّ ساجدًا على ركبتيه ، ويهتف فى رعب شديد :

ـ روحى ملك لـ (كا) العظيم .

وتألّقت عينا الكاهن أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

هزّت (نشوى) رأسها فى توتر ، وهى تراجع كل البيانات والنتائج ، على شاشة الكمبيوتر ، قبل أن تقول :

لا شىء .. كل الفحوص تقود إلى لا شىء .



ودون أن يدرى ، وجد الوزير نفسه يخرّ ساجداً على ركبتيه ، ويهتف فى رعب شديد :

- روحى ملك لـ (كا) العظيم ...

قالت (سلوى) فى حيرة :

- عندى أيضًا كل النتائج سلبية .

قال (رمزى) فى دهشة :

- ما معنى هذا بالضبط ؟!

قالت (سلوى) ، وهى تراجع نتائجها للمرة الثالثة :

- معناه أن قطرة دم واحدة لم تتناثر هنا .. المكان كله نظيف تمامًا ، وكل ما رأيناه كان مجرَّد خداع بصرى .

هتف بدهشة عارمة :

- مستحيل !

أجابته زوجته :

- ليس مستحيلاً ، بل هو الواقع نفسه .. ربما كانت التقنية المستخدمة عالية للغاية ، ولكن ما رأيناه جميعًا هنا ، من انفجار ذلك الكاهن الرهيب ، نتيجةً لرصاصات (أكرم) وأشعة أبى ، ثم تلك الأشلاء التى زحفت لتلتقى ببعضها ، وتعيد تكوينه ، مجرَّد وهم ، لم يحدث فى الواقع أبدًا .

قال فى توتر :

ـ هذا يعنى أن الرصاصات وأشعة الليزر لم تؤثرا به قط .

أجابته (سلوى) :

ـ بل ربما يعنى أنه لم يكن هنا بالفعل قط .

هتف معترضًا :

ـ وماذا عن ذلك العقرب الأحمر ؟!

قالت (نشوى) فى توتر :

ـ إنه لم يكن عقربًا حقيقيًا .

لوّح بيده ، قائلاً :

ـ أيًا كانت طبيعته .. المهم أنه كيان مادى وحسب ، وهذا الكيان قتل أحدنا ، وهذا يعنى أنه ليس وهمًا .

تبادلت المرأتان نظرة حائرة متوترة ، قبل أن تقول (سلوى) ، فى استسلام عصبى :

ـ هناك شىء نعجز عن فهمه إذن .

ران الصمت على ثلاثتهم ، لأكثر من دقيقتين كاملتين ، بعد عبارتها هذه ، وكل منهم يتطلّع إلى الجدار ، الذى غاص فيه ذلك الكاهن الرهيب ، قبل أن تقطع (نشوى) ذلك الصمت الثقيل ، قائلة :

ـ هل قام أحد بفحص تلك المادة الحمراء اللزجة ، التى نتجت عن سحق (أكرم) لذلك العقرب ؟!

أجابها (رمزى) :

ـ الدكتور (حجازى) حصل على عينة منها .

هزّت رأسها ، وهى تقول فى رهبة :

ـ ما الذى يحدث ؟! أى هول هذا الذى نواجهه .

غمغم (رمزى) :

ـ (الفودو) .

سألته (سلوى) :

ـ هل تؤمن بوجود هذا الشىء ؟!

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ ماواجهناه خلال تاريخنا كله، يؤكد أن الكون يحوى من الأسرار مالم تنجح عقولنا وعلومنا عن فهمه أو تفسيره بعد .. والله (سبحانه وتعالى) يقول: إننا ما أوتينا من العلم إلا قليلاً(*) .. ربما تبدو عقيدة (الفودو) أشبه بالخرافات، إذا ما قمنا بقياسها، استناداً إلى علومنا المعروفة، وقوانيننا الطبيعية المتاحة، ولكن من يدرى؟ ربما هى نوع آخر من القوة، لم ندرك كنهه، أو نسبر أغواره بعد .. نوع له قوانينه وقواعده، التى يعرفها كهنته، ويؤدونها على نحو يجعلها تبدو بالنسبة لنا أشبه بالخوارق.

قالت (نشوى) معترضة:

ـ لو طبقنا هذه القاعدة، لقلنا: إنه هناك قوانين لكل الخوارق.

قال فى بساطة:

(*) بسم الله الرحمن الرحيم « قل الروح من أمر ربى، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » صدق الله العظيم.

[القرآن الكريم ـ سورة الإسراء ـ الآية ٨٥ ..]

ـ ولِمَ لا؟! جهلنا بأى شىء لايعنى عدم وجوده، فالناس كانت تجهل كل شىء عن الجاذبية، حتى وضع (نيوتن) قوانينها(*)، فى القرن الثامن عشر، ولكنها موجودة منذ الأزل.

مطت (سلوى) شفتيها، قائلة:

ـ نظريتك مقنعة يا (رمزى)، ولكن كيف تفسر جهل كل العلماء بأمر كهذا، على الرغم من وجوده منذ آلاف السنين؟!

هز كتفيه مرة أخرى، قائلاً:

ـ ربما لأن هذه الأمور يصعب إثباتها، من خلال العلوم التجريبية التقليدية، تماماً مثل قراءة الأفكار (التليباثى)، وتحريك الأشياء عن بعد (السيكو كينيزس)، والتنبؤ

(*) سير (إسحق نيوتن) (١٦٤٢ ـ ١٧٢٧ م): فيزيقى إنجليزى، من أعظم علماء القرن الثامن عشر، فى الفيزياء والرياضيات، استطاع تحليل الضوء العادى إلى ألوان الطيف المعروفة، بوساطة منشور ثلاثى زجاجى .. اخترع التليسكوب العاكس، ووضع قانون الجاذبية العام، وقوانين الحركة، واختير لمنصب رئيس الجمعية الملكية بإنجلترا، تقديراً لمنجزاته.

بالمستقبلات (البرى كوجنيشن) .. تلك العلوم ، التى يعتبرونها من الخوارق ، لم تحظ قط باهتمام العلماء التجريبيين ، عبر التاريخ ، باعتبارها حالات نادرة ، لايمكن اعتبارها قوانين عامة .. هذا ينطبق أيضًا على (الفودو) ،وكل مايشبهه من العقائد والمعتقدات الغريبة ، فى قلب (إفريقيا) ، وأعماق (أمريكا الجنوبية)[*] .

تنهدت (نشوى) ، وهى تقول فى توتر :

- أتعشم أن يكون ما تقوله صحيحًا يا (رمزى) ، فهو سيعنى أنه هناك قواعد لذلك الشىء على الأقل .

قالتها ، فعاد الصمت يخيّم عليهم جميعًا ، قبل أن تسأل (نشوى) مرتجفة :

- هل تعتقدون أنه سيعود ؟!

سألتها (سلوى) فى رعب :

- أتعنين ذلك الكاهن الرهيب ؟!

قالت فى خفوت ، وكأنما تخشى أن يسمعها :

(*) من الظواهر العجيبة ، انتشار مثل هذه الأمور ، فى مناطق شتى من العالم ، تقع كلها على خط عرض واحد تقريبًا .

- نعم .. هو ..

تلفت (رمزى) حوله ، مجيبًا فى حذر :

- لست أعتقد هذا .

هتفت (نشوى) فى لهفة :

- حقًا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، على الرغم من مواصلته تلفته حوله ، وكأنما يتوقّع ظهوره فى أية لحظة ، وهو يقول :

- لقد حققت حملته نتائجها ، على أكمل وجه .. كل الوثائق ، والأوراق والصور ، والتسجيلات ، والأفلام تم تدميرها ، والثلاثة الذين رأوا كل شىء لقوا مصرعهم ، وبأبشع وسيلة ممكنة ، وهذا يعنى أن السر قد دُفِنَ معهم ، واختفى إلى الأبد .

قالت (سلوى) :

- ولكننا نعرف موقع ذلك المعبد على الأقل ، وكل ما علينا أن نفعله هو أن ..

قاطعها صوت أنثوى ، يقول فى حماسة ظافرة :

ـ نرسل بعثة علمية استكشافية جديدة .

التفت الكل إلى مصدر الصوت بحركـة حـادة ، وهتفت (سلوى) فى دهشة مستنكرة :

ـ (مشيرة) ؟! كيف أمكنك الدخول إلى هنا ؟!

تقدّمت (مشيرة) داخل الحجرة بخطوات واثقـة ، وهى تقول فى خبث :

ـ أنسيت أننى صحفية شهيرة ، ويمكننى دخول كل مكان ؟!

أجابتها (سلوى) فى صرامة :

ـ إلا هنا .

أشارت (مشيرة) بسبّابتها ، قائلة :

ـ لاحظى أنكم هنا فى قاعة الاستقبال المدنية ، ولستم فى قسمكم الخاص .

قالت (نشوى) :

ـ حتى هذه القاعة ، لايمكنك دخولها دون تصريح .

رفعت (مشيرة) أحد حاجبيها ، قائلة :

ـ بالتأكيد .

ثم أبرزت بطاقة مغنطيسية ، تحمل صورة (أكرم) ، وهى تكمل :

ـ لذا فقد استخدمت هذه .

هتفت (سلوى) :

ـ هذا تزوير .. لقد استوليت على بطاقة من بطاقات (أكرم) الأمنية .

أعادت (مشيرة) البطاقة إلى جيبها ، قائلة :

ـ يمكنكم إبلاغ الأمن لو أردتم .

تبادل ثلاثتهم نظرة متوترة ، قبل أن تسألها (سلوى) فى صرامة :

ـ ماذا تريدين بالضبط يا (مشيرة) ؟!

جلست (مشيرة) فى بطء ، على المقعد المواجه لهم مباشرة ، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى فى ثقة ، وهى تجيب :

ـ كل شىء .

سألها (رمزى) فى صرامة :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟!

مالت إلى الأمام فى لهفة ، لم تستطع كتمانها أو السيطرة عليها ، وهى تجيب :

ـ أريد كل شىء يا دكتور (رمزى) .. كل المعلومات والأخبار ، عما حدث هنا .. كل التفاصيل .. أريد الفوز بالسبق ، قبل أن تحصل عليه قناة صحفية أخرى .

قال (رمزى) فى بطء حذر :

ـ لاتوجد أية أخبار جديدة .

أطلقت (مشيرة) ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن تقول :

ـ حقًا ؟!

انعقد حاجبا (سلوى) فى غضب ، وهى تهتف فى صرامة :

ـ اسمعى يا (مشيرة) .. هذا الأسلوب السخيف لن

يجدى شيئًا هنا ، حتى ولو أمكنك الدخول بأسلوب متحايل .. وربما لو كنا فى قاعتنا ، حيث يستوجب الأمر وسائل فحص وأمن أكثر تقدمًا وتعقيدًا ، لما كنت أمامنا الآن تتبجحين ، وإنما فى منزلك ، تضربين لخمسًا فى أسداس ، ولو أنك تسعين خلف المعلومات ، فهذا ليس الأسلوب التى تتشدينها به هنا .. هل تفهمين هذا ؟!

انعقد حاجبا (مشيرة) فى شدة ، وبدا لحظة وكأنها ستنفجر فى وجه (سلوى) ، إلا أنها لم تلبث أن استرخت فى مقعدها ، وكأنما أعادت حساباتها ، قبل أن تقول فى هدوء :

ـ حسنًا .. كل ما أريده هو أن أكون أول من يعلن كل ما يمكن إعلانه .

ابتسم (رمزى) ، قائلاً :

ـ أنت تحصلين على هذا دومًا يا (مشيرة) .

أجابته فى سرعة :

ـ فى هذه المرة أنشد المزيد يا دكتور (رمزى) .

سألتها (نشوى) فى حذر :

ـ وما المزيد الذى تنشدينه ؟!

برقت عيناها فى لهفة ، وهى تقول :

ـ أريد أن أصحبكم فى البعثة القادمة .

وكان مطلبها هذا مفاجئًا ..

إلى أقصى حد ..

* * *

وحش عجيب هذا ، الذى تكوّن داخل حجرة التشريح ، فى قبو المبنى التابع للمخابرات العلمية ..

وحش أشبه بفم ضخم ، ذى أسنان حادة طويلة ، فوق جسد هلامى صغير ، وأطراف قصيرة عجيبة ..

وبصوت قوى مخيف ، زمجر ذلك الوحش ، وهو يدير عينين كبيرتين فى الحاضرين ، فغمغم الدكتور (عبادة) ، فى صوت مختنق مذعور :

ـ ما هذا الشىء ؟!

صوّب (أكرم) مسدسه إلى الوحش ، مجيبًا فى توتر شديد :

ـ أيًا كان .. يمكنكم فحص جثته فيما بعد .

قالها ، وضغط زناد مسدسه ، وأطلق النار مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وغاصت الرصاصات الثلاث فى جسد الوحش ورأسه ..

غاصت كلها ، كما لو أنها تغوص فى كرة من المطاط القوى ..

ولم يتأثر ذلك الوحش قط ..

فقط أطلق زمجرة أخرى ، ثم انقضَّ بغتة ..

لم ينقضّ على الدكتور (حجازى) ..

أو الدكتور (عبادة) ..

أو حتى (أكرم) ..

لقد انقضّ على جهاز فحص العينات ، الذى يحوى عينة السائل الأسود ، الذى سحبه الدكتور (حجازى) ، من عروق جثة الدكتور (مينا) ..

وأمام العيون المندهشة ، التهم الوحش العجيب تلك العينة ، كما لو أنها طعامه الرئيسى ، ثم وثب بغتة إلى منتصف الحجرة ..

إلى منضدة التشريح ، التى استقرّت فوقها جثة الدكتور (منير) ..

وبحركة حادة ، تراجع الرجال الثلاثة ، وهتف (أكرم) :

ـ ما الذى يسعى إليه هذا الشىء بالضبط ؟!

اتسعت عينا الدكتور(حجازى) ، وهو يهتف :

ـ رباه ! أخشى أن ....

قبل أن يتم عبارته ، اشتعلت النيران بغتة ..

اشتعلت فى ذلك الوحش العجيب ..

وفى جسد الدكتور (مينا) ..

اشتعلت على نحو لايشبه اشتعال أية نيران أخرى ، تحت أية ظروف طبيعية ..

أو غير طبيعية ..

ففى ثانية واحدة أو أقل ، ودون أية مقدمات أو تمهيد ، سرت النيران فى الجسدين دفعة واحدة ، وكأنما نبتت من كل خلية منهما ..

وعلى الفور ، انطلقت أجهزة إطفاء الحريق الإليكترونية تعمل ..

وانهمرت المياه فى المكان ..

ومع انهمارها ، اتسعت عيون الرجال الثلاثة مرة أخرى عن آخرها ، أمام ظاهرة جديدة مدهشة ..

فالمياه كانت تنهمر فى غزارة على النيران ، المشتعلة فى الجسدين .



قبل أن يتم عبارته ، اشتعلت النيران بغتة .. اشتعلت فى ذلك الوحش العجيب .. وفى جسد الدكتور (مينا) ..

ولكنها لم تطفئها ..

لقد واصلت تأجُجها ، متجاهلة المياه تمامًا ، ومواصلة التهامها للجسدين فى سرعة مذهلة ، جعلت (أكرم) يغمغم ذاهلاً :

ـ أهذه نيران حقيقية ؟!

تمتم الدكتور (حجازى) ، فى ذهول مماثل :

ـ لست أدرى .

مدّ الدكتور (عبادة) أصابعه فى حذر ، ليلمس تلك النيران ، متصورًا أنها مجردُ وهم ..

ولكن أصابعه شعرت بلسعة النيران ، فجذبها فى سرعة ، صارخًا :

ـ رباه ! إنها حقيقية .

هتف (أكرم) :

ـ ولكن كيف ؟! كيف ؟!

مع قوله ، كانت النيران قد التهمت جثة الدكتور (مينا)

مع جسد ذلك الوحش العجيب ، وبدأت تخبو ، فتراجع الدكتور (حجازى) ، ليضغط زر إيقاف المياه المنهمرة ، وهو يغمغم فى عصبية :

ـ لولا التطوير الذى أجروه ، فى وسائل ونظم الحماية من الحريق ، لوجدنا كل رجال أمن المبنى هنا الآن .

تمتم (أكرم) ، وهو يتطلع إلى الجثة ، التى تحولت إلى هيكل عظمى محترق ، وإلى ذلك الوحش ، الذى تلاشى تقريبًا مع النيران :

ـ الواقع أننى كنت أفضّل ذلك الأسلوب القديم .

هتف الدكتور (عبادة) :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا حدث هذا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة ، وكأنما كان السؤال يدور فى ذهنه أيضًا :

ـ من الواضح أن الهدف الأساسى هو إخفاء كل

المعلومات والأدلة ، فذلك الشىء جاء فقط ليلتهم عينة الدماء السوداء ، ويحرق الجثة ، بكل ما تحويه ، وذلك لمنعنا من معرفة السبب الفعلى لمصرع الدكتور (مينا) .

قال الدكتور (عبادة) ، فى حيرة عصبية :

ـ ولماذا لم يلتهم العينة الأخرى أيضًا ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) وهو يقول :

ـ أتقصد عينة تلك المادة الحمراء اللزجة ، التى تخلّفت عن سحق العقرب ؟! هذا صحيح .. لماذا لم يسع لالتهامها أيضًا .

ثم استدار إلى جهاز فحص العينات ، وضغط أزراره فى سرعة ، ليراجع نتيجة فحص عينة المادة الحمراء اللزجة ، وقال :

ـ عجبًا ! إنها مجرّد مزيج من الجلاتين والبروتين ، وبعض الأحماض الأمينية المعروفة .. إنه مزيج عادى ، يمكننا تركيبه فى المعمل .

قال (أكرم) فى اهتمام :

ـ ربما لهذا لم يهتمَّ ذلك الشىء بالتهامها .

قلب الدكتور (حجازى) كفيه فى حيرة ، قائلاً :

ـ ولكن كيف كان ذلك المزيج البسيط يتحرك أمام أعيننا ، فى صورة عقرب أحمر سام ؟!

قالها ، وعاد يضغط أزرار جهاز الفحص ، وكأنما يبحث عن الجواب ، و ... وفجأة ، انطلقت من حلقه شهقة قوية ..

شهقة جعلت (أكرم) يسحب مسدسه مرة أخرى ، بحركة غريزية محضة ، فى حين دفعت الدكتور (عبادة) إلى أن يهتف :

ـ ماذا حدث ؟!

قال الدكتور (حجازى) فى انفعال ، وهو يشير إلى جهاز فحص العينات الإليكترونى :

ـ يبدو أن ذلك الشىء لم يتحرك فى الوقت المناسب ،

فقد كان لدى الجهاز الوقت الكافى ، ليفحص عينة الدماء السوداء ، ويخرج بالنتائج .

اندفع (أكرم) والدكتور (عبادة) نحوه فى حركة غريزية ، وتطلّعا معًا إلى شاشة جهاز فحص العينات ، وهو يضغط أزراره فى سرعة ولهفة ، و ...

وظهرت النتائج دفعة واحدة على الشاشة ..

واتسعت العيون كلها فى دهشة عارمة ..

فقد كانت نتائج فحص الدماء السوداء مذهلة ..

مذهلة تمامًا .

* * *



٨ ـ الغمـوض ..

« سبع عناصر مجهولة يا (نور) .. »

نطق الدكتور (حجازى) العبارة فى حماسة وانفعال ، داخل تلك القاعة ، التى شهدت الأهوال ، منذ ساعات قليلة ، وهو يلوّح بذراعيه فى قوة ، قبل أن يتابع ، وهو يكاد يلهث :

ـ وكلها غير معروفة على الإطلاق ، بين كل العناصر المسجلة على كوكب (الأرض) ، والعجيب أنه ليس بينها عنصر واحد ، من عناصر الدم البشرى .

ـ هتفت (نشوى) مبهورة :

ـ ولكن كيف ؟! أين ذهبت دماء الدكتور (مينا) ؟!

أجابها بنفس الانفعال :

ـ من الواضح أن مادة مجهولة قد سرت فى دمه ، وحولّت عناصره إلى تلك العناصر المجهولة بوسيلة ما ، وربما كان هذا هو سبب تورُّم الوجه وانتفاخه واسوداده ..

تنهّد (نور) وقال :

ـ من الواضح أننا أمام أمر عجيب ، لايشبه أى شىء آخر عرفناه يا رفاق .

ترددت (سلوى) لحظة ، قبل أن تقول فى حذر :

ـ ولكنه يذكرنى بشىء عرفناه بالفعل يا (نور) .

استدار إليها معقود الحاجبين ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فأكملت بصوت مرتجف ، ووجه حمل شحوب ذكريات الماضى :

ـ شىء شيطانى (*) .

مطّ (رمزى) شفتيه ، وشعر الدكتور (حجازى) بقشعريرة باردة تسرى فى جسده ، فى حين غمغم (أكرم) فى حيرة :

(*) راجع قصة (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم ٧٢

- أى شىء هذا ؟!

لم يجب أحدهم سؤاله ، ولكن (نـور) قـال فى حزم :

- أعتقد أننا نواجه أمرًا مختلفًا تمامًا هذه المرة .

سألته بتوتر شديد :

- هل تعتقد هذا ؟!

هتف (أكرم) فى عصبية :

- أيمكن أن يخبرنى أحدكم عم تتحدثون ؟!

مرة أخرى لم يجب أحدهم سؤاله ، و(نـور) يجيب فى صرامة :

- نعم .. أعتقد هذا .

صاح (أكرم) فى حدة :

- أتعتبروننى جزءًا من الفريق أم ماذا ؟!

لكزه (رمزى) فى صدره ، قائلاً :

- اصمت الآن ، وسأخبرك بالأمر كله فيما بعد .

شـعر الدكتـور (عبـادة) بالحيـرة ، وهـو ينقـل بصره بينهم ، فـى حيـن غمغمـت (مشـيرة) فـى اهتمام :

- أعتقد أن لدى فكرة عن هذا الأمر .

تجاهل (نور) قولها ، وهو يقول فى صرامة :

- الشىء الذى أثق به تمامًا ، هو أن ما نواجهه هذه المـرة يختلـف تمـام الاختـلاف ، عن كل ما واجهنـاه من قبل .

أشـار الدكتـور (حجـازى) بسـبّابته ، قـائلاً فـى حماسة :

- أتفق معك تمامًا فى هذا .

قال (نور) :

- ولهذا ، فنحن مضـطرون لمواجهتـه على نحـو مباشر .

هتفت (مشيرة) :

ـ البعثة الجديدة .. أليس كذلك ؟!

التفت إليها ، متسائلاً :

ـ كيف أمكنك استنتاج فكرة البعثة الأخرى هذه ؟!

هزّت كتفيها ، مجيبة :

ـ طبيعتى الصحفية جعلتنى أتصوّر أن هذا هو أفضل إجراء ممكن .

انعقد حاجباه ، وهو يغمغم :

ـ هذا يجعل الأمر خطيرًا إلى حد كبير .

سألته (سلوى) فى قلق :

ـ ماذا تعنى يا (نور) ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ـ أعنى أنه مادامت الحاسة الصحفية لـ (مشيرة) جعلتها تستنتج هذا ، فمن الطبيعى أن تتوصّل جهات الأمن ، فى البلد الذى سنذهب إليه ، إلى النتيجة

نفسها ، ومن الطبيعى أيضًا ألا يشعرهم هذا بالارتياح .

قال (أكرم) فى توتر :

ـ ولكنك تقول : إنهم وافقوا على ذهاب البعثة .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ الموافقة الرسمية شىء ، والتعامل المباشر شىء آخر يا (أكرم) .

قالت (مشيرة) فى قلق :

ـ ولكنكم ستصحبوننى معكم .. أليس كذلك ؟!

أجابها (نور) فى صرامة :

ـ إنها ليست نزهة يا (مشيرة) .

قالت فى حدة :

ـ وعملى لا يمنحنى رفاهية الخروج فى نزهات أيها المقدّم .

شدّ (نور) قامته ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أعتقد أنه من الأفضل أن تدركوا طبيعة الموقف جيدًا .

روى لهم باختصار ، كل ما علمه هناك ، فى مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، عن منطقة المعبد المزدوج ، وكل ما يحيط به من أساطير ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ البعثة التى اقترحها سيادة القائد الأعلى ، تتكوّن من فريقنا ، بالإضافة إلى الدكتور (حجازى) والدكتور (عبادة) ، والدكتور (رمسيس) ، الأثرى المعروف ، ولكنه طلب توضيح الأمر للجميع ، قبل بدء العمل فعليًا ، بحيث يصبح الجميع على بينة بما سيواجهونه هناك ، فبعثتنا ستختلف حتمًا عن البعثة السابقة ، التى خسرت ثلاثة أرباع طاقمها ، والتى فقدنا كل وثائقها ، ولكننا نعلم أنها واجهت أهوالاً رهيبة هناك .. نحن سنواجه حتمًا أضعاف هذه الأهوال ؛ لأننا لا نذهب للبحث عن

مجهول ، وإنما لتعقبه .. وكلكم تعلمون أنه يعرف كل شىء عنا تقريبًا .. بل وربما كان ينتظرنا هناك أيضًا .

صمت لحظة ، ليدرس تأثير كلماته على الجميع ، قبل أن يضيف :

ـ باختصار ، نحن ذاهبون فى رحلة ، قد تكون بلا عودة ، ولكن الهدف منها هو المعرفة أولاً ، وتأمين سلامة وطننا ثانيًا .

تساءل الدكتور (عبادة) فى حيرة :

ـ وما شأن تأمين الوطن هنا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ ذلك الكاهن قتل علماءنا بالفعل .

قال الدكتور (عبادة) :

ـ لأنهم سرقوه .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل لأنه شر خالص ياسيدى .. إنه كاهن من كهنة (الفودو) .. أشرس أنواع السحر الأسود ، التى عرفها التاريخ .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ كاهن لايموت .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هذا ما سنسعى للتحقُق منه .

ثم عاد يشدّ قامته ، مستطردًا :

ـ بإرادتنا الحرة .

تبادل الجميع نظرات صامتة ، قبل أن تتساءل (نشوى) :

ـ ماذا تعنى بهذا يا أبى ؟!

أجابها بكل الحزم :

ـ أعنى أن ما سنفعله أشبه بالعمليات الانتحارية ، وفى كل الأحوال ، وحتى وسط القوات الخاصة ، اعتدنا ألايخرج مخلوق واحد ، فى عملية قد تحمل له الموت الخالص ، إلا متطوّعًا .. لا التزام أمنى ، أو إجبار ، أو أوامر بالعمل .. لابد من موافقة كل شخص ، على نحو واضح جلى .

قالت (سلوى) فى سرعة :

ـ كلنا موافقون يا (نور) .

انعقد حاجباه فى صرامة أكثر ، وهو يقول :

ـ لا أحد يعبّر عن آراء الآخرين ، فى أمر كهذا يا (سلوى) .

قالت فى حزم :

ـ فليكن .. سأعبّر عن رأيى وحده .. أنا معك ، حتى ولو ذهبت إلى الجحيم نفسه .

غمغم :

ـ ربما كنا ذاهبين إليه بالفعل يا عزيزتى .

ثم أدار عينيه إلى (نشوى) ، فرفعت كفها ، قائلة :

ـ سأجد من يتولى أمر (طارق) و(محمود) الصغيرين ، فلن تذهبوا بدونى أبدًا .

قال (رمزى) فى حسم :

ـ زوجتى لن ترحل بدونى .

تطلّع (نور) إلى الدكتور (حجازى) فهزّ كتفيه ، وابتسم ابتسامة متوترة ، وهو يقول :

ـ أتظن أنه من الممكن أن أضيع فرصة كهذه يا (نور) ؟!

تمتم (نور) :

ـ كلاً بالتأكيد .

ثم التفت إلى الدكتور (عبادة) ، قائلاً :

ـ وماذا عنك يا سيّدى ؟!

غمغم الرجل :

ـ إننى لم أخض شيئًا كهذا من قبل قط .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ولكننى أتوق لخوضه .

سأله (نور) فى حزم :

ـ مهما كانت المخاطر ؟!

ازدرد الدكتور (عبادة) لعابه فى صعوبة ، من حلقه شديد الجفاف ، وبدا شاحبًا ممتقعًا ، على الرغم من الحزم الشديد ، الذى كسا صوته ، وأطلّ من عينيه ، وهو يجيب :

ـ مهما كانت المخاطر أيها المقدّم .

هتفت (مشيرة) ، قبل أن يسألها :

ـ أنا سأذهب ، حتى ولو اعترضتم جميعًا .

تجاوزهـا (نـور) ، واستدار إلى (أكرم) ، الذى انعقد حاجباه ، وقـال فـى عصبيـة صارمـة ، قبـل أن ينطق (نور) بحرف واحد :

- إياك أن تفعلها .. لو ألقيت السؤال ، فسأعتبر هـذا إهانة لا تغتفر يا (نور) .

ابتسم (نور) ، وربّت على كتفه ، قائلاً :

- بالتأكيد يا صديقى .. بالتأكيد .

ثم شدّ قامته مرة أخرى ، وتنهّد فى عمق ، قائلاً بمنتهى الحزم والحسم :

- على بركة الله (سبحانه وتعالى) إذن .

لم يـدر أحدهم ، وهو ينطق عبارتـه ، أنـه كـانت هناك أذن أخرى تنصت لكل حرف نطقوه ..

أذن تختفى داخل الجدار المقابل لهم مباشرة ..

فهناك ..

ووسط مادة الجدار كان ذلك الكاهن الرهيب ..

جسده أشبه بالطيف ..

عيناه تلتمعان بذلك البريق المخيف ..

المخيف للغاية ..

وعقله ينصت لما قالوه ..

فى تلك اللحظة ، أدرك أنهم قادمون إليه ..

إلى معبده ، الذى يجمع بين العقائد المصرية القديمـة ، وعقيدة سحرة (الفودو) الرهيبة ..

وفى أعماقه ، ارتسمت ابتسامة رهيبة ..

مخيفة ..

وحشية ..

وفى هـدوء ، انسحب جسده الطيفى مـن موقعه ، وغاص عبر الزمان والمكان ، عائدًا إلى أرض الأرواح الخالدة (فو - كا) ..

وقبل أن تمضى لحظات ، كان كل شىء مستعدًا لاستقبال القادمين ..

والتعامل معهم ..

بكل سحر (الفودو) ..

وكل الشر ..

بلا استثناء .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى بإذن الله

(الأحراش الفسفورية)

ڤودو

- كيف نشأت عقيدة سحرة (الڤودو)، فى قلب (إفريقيا) السوداء ؟!
- لماذا بدأت تلك الأحداث الخارقة المخيفة، فى متحف الآثار الجديد ؟!
- ترى كيف يواجه (نور) وفريقه شياطين السحر هذه المرة .. سحر (ڤودو) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الفريق .. فريق (نور).



العدد القادم

الأحراش الفسفورية

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

135

الثمن فى مصر ٢٥٠ وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

